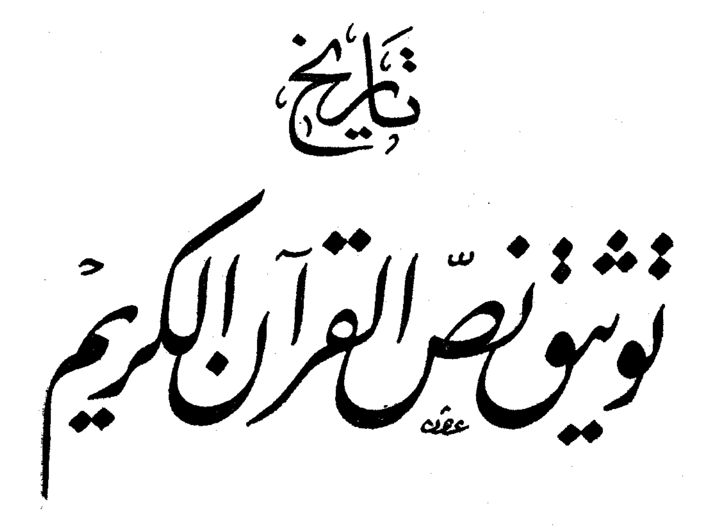
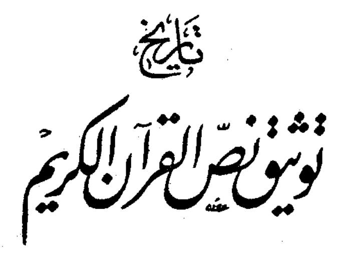
خالد عبد الرحمن العك



تفضل بمراجعته
فضيلة شيخ قرّاء الشام
الشيخ حسين خطّاب



« تاريخ توثيق نصّ القرآن الكريم »
« صرحٌ شامخٌ في تاريخ الإسلام »





كلمة فضيلة العلامـــة
شيخ قراء الشام : الشيخ حسين خطاب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله منزل الكتاب والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد المرسلين وعلى آله وجميع الأصحاب .

وبعـــد : فقد عرض علي الأخ السيد خالد عبد الرحمن العك هـــذه الرسالة الموجزة التي اسماها (تاريخ توثيق النص القرآني الكريم) راجياً مني أن اطلع على ما تحتويه من النصوص والافكار التي تقيم الحجة وتوضح بالبرهان وثاقة النص القرآني وسلامته من التحريف والتبديل من لدن أن تكرم الله عز وجل بتنزيله على القلب الطاهر والمستقر الامين في الارض قلب خاتم النبيين وسيد المرسلين الى ان امتدت اشعاعاته في المشـــرقين والمغربين وسعد بقراءته أهل الثقلين .

فسلك في تاريخ توثيق هذا النص القرآني مسلكاً واضحاً مرتباً على مراحل يأتي بعضها في اثر بعض حسب تدرج وصـــول القرآن الكريم الينا مدعماً بالنصوص المستنبطة من السنة النبوية والسيرة المحمدية والتاريخ الاسلامي وما سطرته ايدي العلماء في هذا الفن قديماً وحديثاً . وكان فيما قدمه يترسم آثار الاقدمين ويغترف من معينهم ويستنير بهـــداهم ليضع فيما بنوا ولو لبنة صغيرة ويضيف الى مشعلهم ولو قبساً ضئيلاً فالتقط من منثور دررهم هـــذه المجموعة المختصرة التي سلكها في عقده اللألاء واضاف الى مجموع ما خلفه لنـــا الاسلاف من اتقان وبرهان وابانة ومناهل عذبة ما يستعين به طلاب الفضيلة من الخلف على الصعود درجـــة في السلم الذي يضعه أهل العلم من السلف لفهم كتاب الله وحفظه والدفاع عنه والله خير حافظاً اذ هو القائل (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) .

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين : المبعوث رحمةً للعالمين ، سيدنا محمد رسول الله الأمين ، صلى الله عليه وآله وصحبه وتابعيه إلى يوم الدين .

وبعـــد :

إن من حق الله تبارك وتعالى على عباده أن يتعبدوه بتلاوة كلامـــه الكريم ، ويتقربوا إليه بالعناية بكتابه العظيم ، ابتغاءَ رضوانه والتنعمَ بجِنانه .

هذا .. ولما كان التسابق في ميدان رعاية كتاب الله

تعالى والعناية به من المكرُمات الإسلامية، فلقد استعنت به سبحانه وتعالى في تقديم دراسة موضوعية لتاريخ توثيق النص القرآني الكريم، فأعانني الله سبحانه وتعالى على ذلك، تفضلاً منه وتكرماً .. فكان لي هذا الشرف العظيم في الدنيا (والآخرة): في تقديم أبحاثٍ في تاريخ توثيق نص القرآن العظيم، الذي كان ولازال « الصرحَ الشامخ في تاريخ الإسلام ».

ثم إن هذا القرآن الذي يهدي لاتي هي أقوم هو أمانةُ الله تعالى التي استودعها في أعناق المسلمين لرعايته .. وحمايته .. بتعلّم تلاوته، ودراسة علومه، وفهم آياته، وتطبيق أحكامه، والتزام مناهجه، والسير على سبيله، والاهتداء بنوره والتّحاكم إليه يقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيما رواه ابن حبان في صحيحه : (إنَّ هذا القرآن طرفُه بيد الله، وطرفُه بأيديكم، فتمسكوا به، فإنكم لن تضلوا ولن تهلِكوا بعْدَه أبداً)، ويقول عليه الصلاة

والسلام فيما رواه الحاكم بإسناد صحيح: (منْ قرأ القرآن فقدْ استدرجَ النبوّةَ بينَ جنبيه، غيرَ أنه لا يُوحي إليه).

وإنني إذا أقدم هذه المباحث التاريخية إنما أستعرض من خلالها أصح النصوص وأقوى الروايات، معتمداً في ذلك على أمهات كتب السنة النبوية والسيرة العطرة والتاريخ الإسلامي، وعلى الأخص مصنفات أئمة هذا الشأن كما هو مُبين في ثبت المصادر والمراجع في آخر الكتاب.

ولست أدعي فيما أقدمه العصمة والكمال، غير أنني لم آلُ جهداً في تقصِ الصحيحَ والصواب. فأسأل الله تبارك وتعالى كمالَ الإخلاص في نيتي، وحُسن السداد في عملي، فإنه خير مسؤول وأكرم مُجيب.

دمشق: ١٧ ربيع الثاني ١٣٩٧ هـ
٦ / ٤ / ١٩٨٧ م

خالد عبد الرّحمن العك

غفر الله له ولوالديه آمين



مخطط مباحث الكتاب

مقدمات تمهيدية :

١ ــ الوحي والوحي الإلهي .
٢ ــ أنواع الوحي الإلهي .
٣ ــ بدء الوحي الإلهي .
٤ ــ علاقة رسول الله بالوحي .
٥ ــ أهمية إدراك حقيقة الوحي .
٦ ــ حقيقة الوحي الإلهي .
٧ ــ كيف كان يتلقى رسول الله القرآن الكريم ؟
٨ ــ كيف كان تنزّل القرآن الكريم ؟
٩ ــ أسباب نزول القرآن الكريم .

المرحلة الأولى لتوثيق النص القرآني الكريم :

جمع القرآن الكريم وكتابته في عهد نزوله

وله ثلاثة أدوار :

الدور الأوّل : اتخاذ الكتّاب المتخصصين بالكتابة لكتابة القرآن بين يدي رسول الله .

الدور الثاني : استحفاظ النبي عليه الصلاة والسلام أصحابه للقرآن .

الدور الثالث : حظر كتابة غير القرآن من الأحاديث النبوية .

المرحلة الثانية لتوثيق النص القرآني الكريم :

جمع القرآن وكتابته في عهد الخليفة الصديق رضي الله عنه .

المرحلة الثالثة لتوثيق النص القرآني الكريم :

جمع القرآن وكتابته في عهد الخليفة عثمان رضي الله عنه .

مباحث متنوعة عن هذه المرحلة .

١ – القرآن والخط واللغة التي كُتب بها .

٢ – هل رسم المصحف توقيفي بتقرير منه عليه الصلاة والسلام ؟.

٣ – خصائص الرسم العثماني .

٤ – اللغة التي كتب بها القرآن الكريم .

٥ – القراءات المتواترة والأحرف السبعة .

٦ – سبب اختلاف القُراء في القراءات .

٧ – سبب اشتهار القراءات بأسماء رواتها .

٨ – تدوين القراءات المتواترة السبع .

المرحلة الرابعة لتوثيق النص القرآني الكريم :

تنقيط المصاحف العثمانية .

تقرير حُرمة تسمية ترجمة معاني القرآن قرآناً .

– جواز ترجمة معاني القرآن .

– ترجمة القرآن فوق الطاقة البشرية .

المرحلة الباقية لتوثيق النص القرآني الكريم :

تكفُّلُ اللهِ تعالى بحفظه وتخليده حتى قيام الساعة .

فُصول متفرعة :

١ — مع القرآن والهدي النبوي .

٢ — مع القرآن وأهله .

٣ — مع آداب القرآن وحملته .

٤ — في رحاب الوعي القرآني .

الخاتمـــة :

ثبوت النص القرآني الكريم بالتواتر

المفيدللقطع واليقين .

المُقَدِّمَاتُ التَّمهيدِيَّة



بسم الله الرحمن الرحيم

١ ــ الوحي والوحي الالهي :

الوحي لغة : الإشارة والكتابة ، والمكتوب والرسالة والإلهام والكلام الخفي ، وكل ما ألقيته إلى غيرك خفية فهو من الوحي بمعنى الإعلام في الخفاء ، ومن الوحي اللغوي : الإلهام الغريزي كما في قوله سبحانه :(وأوحى ربك إلى النحل أنِ اتخذي من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون) النحل (٦٨) . ومنه : إلهام الخواطر بما يلقيه الله سبحانه في رُوع الإنسان السليم الفطرة ، كالوحي إلى أمّ موسى ، قال سبحانه :(وأوحينا إلى أم موسى أن ارضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني

إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين) القصص (٧) .
وهذا النوع ضدّ الوسوسة التي مصدرها الشيطان قال سبحانه :
(.. وإن الشياطين ليوُحون إلى أوليائهم ليجادلوكم)
الأنعام (١٢١).

فأصل الوحي في اللغة : الإعلام في الخفاء ، ولذلك
صار الإلهام يُسمى وحياً . وكذلك الإشارة والإيماء
يُسمى وحياً ، والكتابة تسمى وحياً . وقال سبحانه:
(وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء
حجاب) الشورى (٥١) ، معناه : إلا أن يُوحي إليه
وحياً فيُعْلِمه بما يَعْلم البشر أنه أَعْلَمه، إما إلهاماً أو رؤياً ،
وإما أن ينزّل عليه كتاباً كما أُنزل على موسى ، أو قرآناً
يُتلى عليه كما أنزله على سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم .

ثم اصطلح عليه على أنه تعليم الله تبارك وتعالى لأنبيائه

ورسله أمور الدين بواسطة الملائكة الذين يرسلهم إليهم ، أو بغير واسطة بأن يكلمهم ربهم تكليماً . وهو بمعناه الاصطلاحي : ظاهرة يشترك فيها الأنبياء جميعاً ، قال سبحانه : (إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعدهِ ، وأوحينا إلى إبراهيمَ وإسماعيلَ وإسحاقَ ويعقوبَ والأسباطِ وعيسى وأيوبَ ويونسَ وهارونَ وسليمانَ ، وآتينا داودَ زبُوراً ، ورُسُلاً قد قصصناهم عليك منْ قبلُ ورُسُلاً لم نقصصهم عليك، وكلّمَ اللهُ موسى تكليماً) النساء (١٦٣ ـ ١٦٤)[1] .

٢ ـ أنواع الوحي الالهي :

وليست للوحي الالهي كيفية واحدة ، وإنما له أنواع شتى :

(١) أنظر لسان العرب مادة « وحي » .

فمنها : ما يكون مُكالمة بين الله ونبيه أو رسوله ، كما كلّم الله موسى تكليماً ، وكما كلّم سبحانه وتعالى سيدنا محمداً عليه الصلاة والسلام ليلة المعراج .

ومنها : ما يكون إلهاماً يقذفه الله تعالى في قلب رسوله على وجهٍ من العلم الضروري ، بحيث لا يستطيع له دفعاً ، ولا يجد فيه شكّاً .

ومنها : ما يكون مناماً صادقاً يجيىء في تحققه ووقوعه كما يجيىء فلقُ الصبح في ظهوره وسطوعه .

ومنها : ما يكون بواسطة أمين الوحي جبريل عليه السلام ، وهذا النوع هو أشهر الأنواع في وحي الله سبحانه لرسوله عليه الصلاة والسلام .

ووحي القرآن الكريم كله من قبيل النوع الأخير ، وهو المصطلح عليه بالوحي الجلي .

ثم إن ملك الوحي جبريل عليه السلام له حالات يهبط

بها على رسـول الله صلى الله عليه وآله وسـلم : فتارة يظهر للرسول عليه الصلاة والسلام في صورته الملكية ، وتارة يظهر له في صورة إنسان يراه الحاضـرون ويسمعون منه ، وتارة يهبط عليه خفية فـلا يُرى ، ولـكن يظهر أثر التغيّر والإنفعال على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فيغط ويغيب ولـكن ليس كغطيط النائم أو غيبة المُغمى عليه ، وإنما هو الاستغراق في تلقي الوحي الإلهي ، والانخلاع عن الحالة البشرية العادية لملاقاة الملائكة ، فيؤثر ذلك على جسمه الشـريف صلى الله عليه وآله وسـلم ، وذلك لثقل ما يُلقى إليه من القرآن الكريم ، وكان يسمع الحاضرون صوتاً عند وجهه عليه الصلاة والسلام كأنه دويّ النحل ، ولـكنهم لا يفهمون منـه قولاً ، ولا يفقهون عليه حديثاً ، أمّا هو عليه الصلاة والسلام فإنه يسمع ويعي مايُوحى إليه ، ويعلم علماً ضرورياً أن هذا .. وحي الله تبارك وتعالى من

غير لُبس ولا خفاء ، أوشك أو ارتياب ، فإذا ذهب عنه وجد ما أوحي إليه من ربه حاضراً في ذاكرته ، ومُنتقشاً في حافظته ، كأنما كُتب ذلك في قلبه الشريف كتابةً !!..

٣ ــ بدء الوحي الالهي :

روى البخاري في صحيحه : أن أول ما بُدىء به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الوحي : الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤياً إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حُبب إليه الخلاء ، وكان يخلو بغار حِراء يتعبد الله تعالى فيه الليالي الطِوال ــ ذوات العدد ــ ثم يرجع إلى أهله ، فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق وهو في هذا الغار ، فقال له : إقرأ ، قال : ما أنا بقارىء ، قال : فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني ، فقال : إقرأ ، قلت : ما أنا بقارىء ، فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد

ثم أرسلني ، فقال : إقرأ ، فقلت : ما أنا بقارىء ، فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني ، فقال : (إقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الانسان من علق ، إقرأ وربك الأكرم ، الذي علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم) (القلم ١ ــ ٥) ، فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يرجف فؤاده ، فدخل على خديجة بنت خويلد رضي الله عنها ، فقال : زملوني زملوني ــ أي : غطوني ــ فزملوه حتى ذهب عنه الروع ، فقال لخديجة وأخبرها الخبر : لقد خشيت على نفسي ، فقالت خديجة : كلا والله ما يُخزيك الله أبداً ، إنك لتصل الرحم ، وتحمل الكَل وتُكسب المعدوم ، وتُقري الضيف ، وتعين على نوائب الحق ، فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى : ابن عم خديجة ، وكان امرأً قد تنصّر في الجاهلية ، وكان يكتب العبراني ، فيكتب من الانجيل بالعبرانية ما شاء

الله أن يكتب ، وكان شيخاً كبيراً قد عمي ، فقالت له خديجة : يا ابن عمٍ اسمع من ابن أخيك ، فقال له ورقة : يا ابن أخي ماذا ترى ؟ فأخبره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خبر ما رأى ، فقال له ورقة : هــذا الناموس الذي نزّل الله على موسى ، يا ليتني فيها جذعاً ، ليتني أَكون حياً إذ يخرجك قومك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أَوَ مُخرجي هم ؟ قال : نعم !! لم يأتِ رجل قط بمثل ما جئت به إلا عُودي ، وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً . ثم لم ينشب — أي : يلبث — أن توفي ، وفتر الوحي . أي : توقف .

٤ — علاقة رسول الله بالوحي :

إن علاقة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالوحي الإلهي كانت مرتبطةً ارتباطاً وثيقاً مع العالَم السماوي . وما

كانت تلك الأحـــوال التي تصاحبه في فترة تلك العلاقة، وتظهر عليه في حينها إلامن الأدلة الجلية على أن هذا الوحي الذي كان يهبط عليه، هو وحي سماوي من عند الله سبحانه وتعالى. لم يكن له به أيّ اختيار أو تكلّف له.

وإن ما كانـ يبدو عليه صلى الله عليه وآله وسلم حين يلتقي بالوحي لا يخفى على أحد ممن كان حاضراً عنده أو ناظراً إليه، فقد كان الصحابة يرونه وقد أخذتُه البُرَحاءُ ــ أي: الشدة ــ حتى إن جبينه ليتفصّد عرقاً، وإنهم ليسمعون عند وجهه الشريف دوياً كدوي النحل، ثم لا يلبث أن تُسَرّى عنه تلك الشدة من ملاقاة الوحي، فإذا هو يتلو قرآناً كريماً وذكراً حكيماً.

ونحن إذا نظرنا في هذه العلاقة من خلال الاستقراء الدراسي لأيقنا اليقين الجازم بأن هذه الانفعالات التي كانت تظهر عليه صلى الله عليه وآله وسلم لم تكن ناشئةً عن سبب

عادي أو طبيعي ، وإنمـــا هي عوارض التأثير الخارجي الشديد للوحي الإلهي المُنّزل على قلبه الشريف عليه الصلاة والسلام ، ليس غير ..

فلم يكـن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ينسب ما جاء به من الذكر الحكيم لنفسه ، وإنما أعلن من توّه : أنه وحي خارج عن طوع إرادته ومحض اختياره ، لأنه الوحي الإلهي حقّاً لا غير ...

٥ ــ أهمية ادراك حقيقة الوحي :

إن حديث بدء الوحي هذا – وهو ما تقـدم ــ هو الأساس الذي يترتب عليه جميع حقائق الاسـلام بعقائده وتشريعاته، وفهمه واليقين به، وهو المدخل الذي لا بدّ منه إلى اليقين بسائر ما جاء به رســـول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، من إخبارات غيبية وأوامر تشـريعية ، ذلك لأن

حقيقة الوحي الالهي هي الفَيصل الوحيد بين الانسان الذي يفكر من عند نفسه : ويشرع بواسطة رأيه وعقله ، والانسان الذي يبلِّغ عن ربه دون أَن يُغيرّ أَو ينقص أَو يزيد .

من أَجل هذا .. يهتم أَعداء الاسلام بمعالجة موضوع الوحي من حياة رســـول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ويبذلون جهداً فكرياً متكلّفاً من أَجل التلبيس في حقيقة الوحي الإلهي للإيهام والخلط بينه وبين الالهام وحديث النفس . وذلك لعلمهم بأن موضوع الوحي الإلهي هومنبع يقين المسلمين وإيمانهم بما جاء به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من عند الله تبارك وتعالى .

فلئن أُتيح تشكيك المسلمين بحقيقة الوحي أَمكن تكفيرهم بكل ما قديتفرع عنه من عقائدوأَحكام ، وأَمكنهم أَن يمهدوا لفكرة : أَن كل ما جاء به رسول الله عليه الصلاة

والسلام من المبـــادىء والأحكام ليس إلا من تفكيره الذاتي ، ولا علاقة لذلك بالسماء .

فمن أجل تحقيق هذه الغاية المنكرة أَخذ أَعداء الإسلام من الملاحدة على شتى أَشكالهم ومظاهرهم يحاولون تأويل ظاهرة الوحي الإلهي ، وإبعادها عن حقيقتها بكل مايروق لخيالهم من فنون التصورات والتخيلات الباطلة .

٦ ــ حقيقة الوحي الالهي :

إن استمرار الوحي الإلهي على مدى إقل من ربع قرن من الزمن دَلالةٌ صادقة على حقيقته الإلهيـة ، وأَن ظاهرته ظاهرة ربانية سماوية ، لا كما زعم أَعداء الاسلام في تأويلها بأنها ظاهرة نفسانية محضة . وبيان دَلالات حقيقة الوحي الإلهي هي كما يلي :

١ً ــ الفارق البيّن بين القرآن الكريم والحـــديث

النبوي ، فقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يأمر أصحابه بكتابة القرآن الكريم في وقت نهى فيه عن كتابة غيره معه ، واكتفى لأحاديثه باستيداعها ذاكرة أصحابه ، لا لأن أحاديثه الشريفة كلام من عنده لا علاقة للنبوة به ، بل للفارق الذي بينهما ، فالقرآن الكريم موحىً به من عند الله سبحانه إليه باللفظ والمعنى ، بواسطة أمين الوحي جبريل عليه السلام ، وأما الأحاديث فمعناها وحي من عند الله سبحانه ، ولكن ألفاظها وترتيبها من عنده عليه الصلاة والسلام ، فكانت غاية ذلك النهى عــــدم اختلاط القرآن بالحديث .

٢ ـــ كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمّياً ، وليس من الممكن أن يعلم إنسان بواسطة المكاشفة النفسانية حقائق علمية وتاريخية ثابتة ، كذكر أركان العقيدة وأحكام الشريعة ، وذكر الأنبياء والرسل وقصصهم على ما فيها من

حكم عظيمة ، ومواعظ قيمة ، وعبر بالغة ، قال سبحانه في سورة العنكبوت (٤٨) : (وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذاً لارتاب المبطلون).

٣ — كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يُسأل عن بعض الأمور فلا يجب عليها ، وربما مرَّ على سكوته زمن طويل، حتى إذا نزل في ذلك شيء من القرآن طلب السائل وتلا عليه ما نزل في ذلك الأمر الذي سأل عنه .

٤ — كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يتصرف في بعض الأمور على وجه معين ، فكانت تنزل الآيات من كلام الله تبارك وتعالى تصرفه عن ذلك الوجه ، وربما انطوت تلك الآيات على عتاب أو ملامة له عليه الصلاة والسلام.

٥ — تريث رسول الله صلى الله عايه وآله وسلم في أمر حادثة الإفك التي كانت تمس بكرامة إحدى زوجاته

الطاهرات حتى نزل قوله تعالى في سورة النور :(١١ ـــ ٢٠) في براءتها وطهارتها . » والحمد لله » .

٦ ـــ إن صدق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم طيلة حياته في قومـــه وملازمتهم له ، واشتهاره فيما بينهم بالصادق الأمين ، يتطلب أن يكون عليه الصلاة والسلام قد قضى في تأمله ودراسته لِما فُوجىء به من هـذا الأمر الخطير على أَي شك يتخايل لعينه أو فكره . ولذلك كان عليه الصلاة والسلام في فترة انقطاع الوحي عنه في حزن شديد . . . فيتبدى له جبريل فيقول : « يا محمد إنك رسول الله حقاً » ، فيسكن بذلك جأشه وتقرُّ عينه .

٧ ـــ كيف كان يتلقى رسول الله القرآن ؟:

كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يتلقى وحي القرآن عن جبريل عليه السلام على حالة واحدة ، وهي : أَن ينسلخ

النبي عليه الصلاة والسلام من حالته البشرية العادية إلى حالة أخرى يحصل له بها استعدادٌ لتلقي الوحي من جبريل ، وهو على حالته الملكية، وفي هذه الحالة قد يسمع الحاضرون عند مجيىء جبريل صوتاً شديداً كصلصلة الجرس ، وعندما يلقي إليه القرآن يُسمع صوتٌ كدوي النحل ، وهذه الحالة هي أشدّ حالات الوحي الذي كان ينزل عليه، وذلك كما صرحت به الأحاديث الصحاح من ثقل في جسمه الشريف حتى لتكاد الناقة التي كان يركبها حين يأتيه الوحي لتبرك ، وإذا جاءت فخذه على فخذ إنسان قريب منه لتكاد ترضّها ، وكان يتفصّد جبينه عرقاً حتى في اليوم الشديد البرد .

ووحي القرآن كله كان على هذه الحالة ، وهي : الحالة التي يكون فيها جبريل على ملكيته ، وتحول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من حالة البشرية إلى حالة من حالات الملائكية التي تليق بتلق وحي القرآن الكريم

عن أمين الوحي جبريل عليه السلام ، ولم ترد هناك قرائن تفيد نزول شيء من القرآن عن طريق جبريل وهو على حالة تصوّره بصورة البشر ، وكل ما جاء من ذلك في الصحيح إنما كان في وحي السنة الشريفة لا في وحي القرآن الكريم .

وذلك .. لحكمة بالغة : فلو أنزل شيء من القرآن في حالة تصوّر جبريل على هيئة البشر لكان هذا مثاراً للشك والريب ، والتلبيس والتدليس ، ولكان فيه مستند للمشركين في زعمهم : (إنما يعلمه بشر ..) .

٨ ــ كيف كان تنزّل القرآن ؟ :

لقد كان لتنزّل القرآن الكريم حالة واحدة ، وهي : نزوله مُنجماً مُفرقاً على مدى أقل من ربع قرن من الزمن ، وذلك لِحِكَمٍ جمّة وأسرار عدّة ، نجملها فيما يلي :

أولاً :

تثبيت فؤاد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتقوية

قلبه وإلهاب مشاعره ، وتسليته ومؤانسته ولا يتحقق ذلك إلا بتوالى النزول وتكرار الترداد .

ثانياً :

التدرّج في تربية الأمة دينياً وفكرياً واجتماعياً وعلماً وعملاً .. ولا يتحقق ذلك إلا إذا كان نزول القرآن مفرقاً وعلى فترات .. يقول سبحانه في سورة الإسراء : ١٠٦ (وقرآناً فرقّناه ، لتقرأه على الناس على مُكث .. ونزلناه تنزيلاً) .

ثالثاً :

تيسير حفظه وفهمه على الأمة ، فقد أوجب الله سبحانه على المسلمين حفظ ألفاظه وفهم معانيه وتدبر أحكامه وحِكمه ، قال سبحانه في سورة ص : ٢٩ (كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدّبروا آياته وليتذكّرَ أولوا الألباب). ولا يتيسر ذلك إلا بنزوله منجماً لأن الأمة كانت أميّةً

لا عهد لها بذلك من قبل .

رابعاً :

مُحاكاة الحوادث ومُجاراة الطوارىء المتجددة في حياة النبوّة الطاهرة ، وذلك يقضي ببيان حكم الله تعالى في الوقائع والأحوال التي تحدث للأمة ، وهذا مما يزيد في إيمان الأمة ويرسّخ يقينها بالإسلام ، وأنه حقاً وصدقاً من عند الله سبحانه وتعالى .

خامساً :

إجابة السائلين على أسئلتهم التي كانوا يسألونها لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وسواء أكانت هذه الأسئلة لغرض التثبّت والتأكّد من الأحكام الشرعية أم لتقوية العقيدة ، أم كانت للاسترشاد والمعرفة والإهتداء .

سادساً :

لتعجيز من كان يُكذب الوحي ، وذلك بإعطائه فرصة

سانحة لمعارضته أو الإتيـان بمثله ، كي تقوم عليهم الحجة تلو الحجة ، ولو أن نزوله كان جمـلة واحدة لما أمكـن تكرار التحدي مرّةً بعد مرّة ــ في ثبوت إعجازه دائماً وأبداً ــ وذلك بثبوت عجزهم في معارضته المرّة تلو المرّة !.

سابعاً :

إظهار أن القرآن الكريم على نزوله مُفرقاً ، وتباعد ما بين أزمان النزول ، كونه سلسلة ذهبية مترابطة الحلقات متآخية الفقرات ، منسجمة العبـارات مناسقة المعـاني والإشارات ، لا تنبو كلمـة عن كلمـة ، ولا تنفر آية من آية ، بل كله في غاية الفصاحة والبلاغة ، وروعة الإحكام والإنسجام ، ولا يسمو بأسلوبه حيناً وينزل حيناً آخر .. ولا تتنـاقض غاياته أو تتغاير مقاصده .. ممـا يدل أعظم الدّلالة على أنه ليس من عند البشر !!..

وإذا نظرنا في مؤلفات المؤلفين ودواوين الشعراء وأمالي

الكاتبين، مهما بلغوا من الفصاحة والبلاغة والعلم والإحاطة فإنا ــ بلا شــك ــ نجدها تتفاوت تفاوتاً بيناً واختلافاً ظاهراً بين ما ألفه في أول حياته، وبين ما كتبه بالأمس وبين ما يكتبه في الغد، سواء أكان في اللفظ والمعنى أم في المقصد والمبنى، أم في أغراضه ومراميه أم في أسلوبه وتفكيره.

وإذا كان القرآن الكريم لم يأت على غرار ما يصنع البشر، فقد تعين وتأكد وتحقق من أنه تنزيل من لدن حكيم خبير !!..

هذا .. وليست هذه نهاية الحِكَم والأسرار في نزول القرآن مُنجماً مُفرقاً، فهناك الكثير لمن أحكم النظر وأجال البصر وأمعن الفِكر في هذا القرآن العظيم وأسلوب تنزيله ..

٩ ـــ أسباب نزول القرآن الكريم :

إن معنى سبب النزول هو الحادث الذي نزلت الآيات القرآنية متحدثة عنه أو مبينة لحكمه أو موضحة لأمره..

وقد كان لنزول الآيات الكريمة كيفيات ثلاث :

الأولى : أن تنزل الآيات جواباً عن سؤال.

والثانية : أن تُنزّل بياناً لأحكام الحوادث.

والثالثة : أن تُنزّل ابتداءً من غير سبب من حادث أو سؤال . فمن الأول والثاني : الآيات التشريعية وما إليها مما يدل على أصول التشريع . والآيات التي تتعلق ببيان العقيدة الإسلامية وإبطال عقائد الزيغ والضلال.. ومن الثالث : آيات ضرب الأمثال والعِبر وذكر قصص الأنبياء والمرسلين . وليس ذلك مطرداً .. فهناك كثير من الآيات في ذلك ليس لها سبب نزلت من أجله ، وذلك كما هو مبين في كتب التفسير ...

ولمعرفة أسباب النزول حكمة بالغة :

وذلك لدليلين اثنين :

الأول : لمعرفة مقتضى الحال الذي هو مدار علم المعانى والبيان ، وبهما يعرف إعجاز نظم القرآن . فالكلام الواحد يختلف فهمه بحسب الأحوال أو الزمان أو الانسان .. فالاستفهام مثلاً لفظه واحد ، وإنما يحتمل معاني كثيرة من تقرير أو توبيخ أو إنكار . والأمر مثلاً يحتمل الاباحة أو الندب أو الوجوب ، وأيضاً يحتمل التهديد أو التعجيز وغير ذلك ..

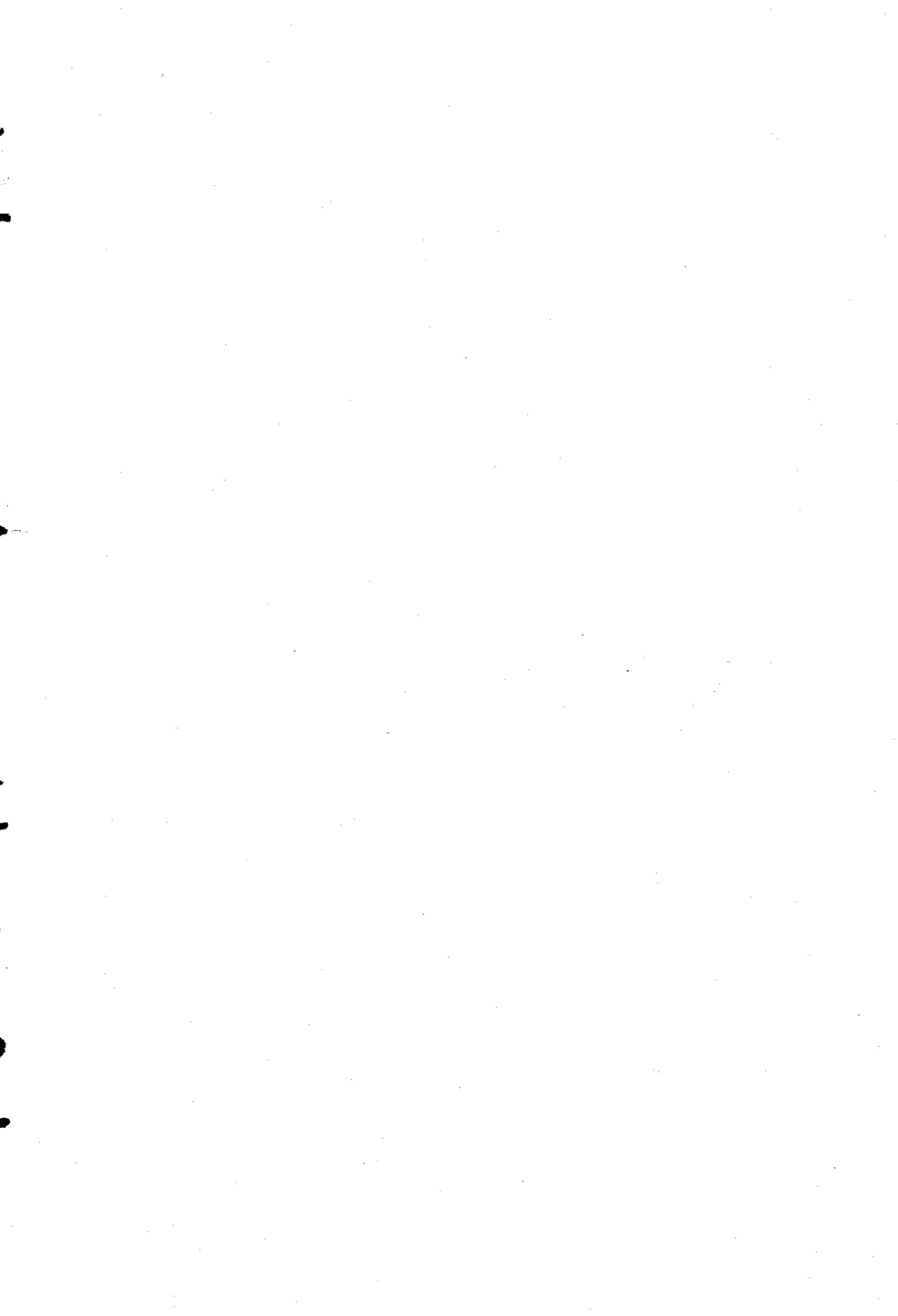
والثاني : إن معرفة أسباب النزول رافعة لكل إشكال قد يُشْكل على دارس القرآن ، كما أن الجهل بسبب النزول مُوقع في الإشتباه والارتباك والاشكال قال علماء التفسير : « لا يمكن معرفة التفسير دون الوقوف على أسباب النزول وأحواله » .

وطريق معرفة أسباب النزول هو النقل الصحيح عن الصحابة والتابعين الذين اشتهروا بالأخذ عن الصحابة علومَ القرآن كمجاهد وعكرمة وسعيد بن المسيب والحسن البصري وعطاء وقتادة والضحاك .



المرحلة الأولى لتوثيق النصّ القرآني:

استيداعُ النصّ الكريم في الصُّدُور والسُّطور



المرحلة الأولى لتوثيق النص القرآني :

استيداع النص الكريم في الصدور والسطور

جمع القرآن الكريم وكتابته في عهد نزوله

ليس في الوجود كتاب سماوي وصل إلى ذروة التوثيق العليا كالقرآن الكريم ، الذي كُتب على أصح أسلوب التدوين ، وعلى أدق قواعد الضبط ، في مصحف لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، والذي ظلّ ينتقل إلينا بطريق يعجز البشر عن مثله لغيره !!.. فقد كان نقله بوسيلتين مقترنتين دائماً وأبداً : الحفظ في الصدور والرسم في السطور متداولاً ليلاً نهاراً على طول وعرض الأمة الاسلامية في كل زمان ومكان !!..

وبهذا الشكل الرائع الذي لا نظير له في وجود البشر

إكتسب نقل القرآن الكريم صفة التواتر الذي يفيد القطع واليقين الجازم في أن هذا القرآن قد وصل إلينا من غير زيادة ولا نقصان ، ونحن نقرأه الآن بنفس الضبط والاتقان الذي كان يتسم بها في حضرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حين تلقيه وأدائه على حدّ سواء .

وما ذلك إلا من رعاية الله تبارك وتعالى لكلامه العظيم الذي استودعه في مصاحف الأمة ، قال سبحانه : في سورة الحِجر : ٩ (إنّا نحن نزّلنا الذكرَ وإنّا له لحافظون) . فكان حفظ الله تعالى للقرآن الكريم النعمة الكبرى التي أنعم بها سبحانه على الأمة الإسلامية ، فحفظ لها به إسلامها وعقيدتها وشعريعتها وآدابها وأخلاقها ولغتها وحضارتها ولولا حفظ القرآن الكريم لكانت الأمة العربية بل الأمة الإسلامية خبراً بعد أثر . . فهي محفوظة من الزوال والاندثار بحفظ القرآن الكريم .

ولقد مرّ توثيق النص القرآني المجيد بخمس مراحل من مراحـــل الرعاية والعناية ، والضبط والإتقان في حفظه ورسمه وجمعه وتدوينه وتحمّله وأدائه .

وها نحن الآن في دراسـة المرحلة الأولى لتوثيق نصه الكريم وذلك في حضرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

لقد مرّ توثيق نص القرآن في زمن الرسول عليه الصلاة والسلام في ثلاثة أدوار متتاليات :

الدور الاول :

اتخاذ الكتّاب المتخصصين بالكتـابة العربية لكتـابة القرآن الكريم وذلك :

لِما كان من حرص رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على كتابته وتدوينه ، فقد اتّخذ عليه الصلاة والسلام لذلك كتّاباً متخصصين بالكتابة العربية وقواعـد إملائها حسبما

كان في ذلك الوقت من الاصطلاحات التي تتعلق بالخط العربي الأصيل .

وقد كان وجود الكتابة في العرب قبيل الاسلام ، إرهاصاً لبعثة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ليُجتمع للقرآن الكريم الوسم في السطور إلى الحفظ بالصدور ، وبذلك يتهيأ للقرآن من دواعى الحفظ والرعاية مالم يتهيأ لغيره ، ويتحقق وعد الله تعالى بحفظه ورعايته !!..

كتّاب الوحي :

لقد كان لرسول الله كتّابٌ يكتبون له ، فمنهم من كان يكتب بشكل عام ومنهم من كان يكتب له الوحي بشكل خاص ، وقد كان هؤلاء على رتبة عالية من الأمانة والثقة بالاضافة إلى كونهم حاذقين في الهجاء والكتابة ، وقد أشتهر منهم في كتابة الوحي : أبو بكر ، وعمر ، وعثمان وعلي ، وعبد الله بن سعيد بن أبي سرح ، وهؤلاء من كتبة

الوحي المكي، وقد زاد عليهم من انضم إليهم من الأنصار وهم: أُبيّ بن كعب وهو أول من كتب بالمدينة له عليه الصلاة والسلام وزيد بن ثابت وهو أكثرهم كتابة للوحي المدني ثم انضم إليهم: الزبير بن العوام وخالد وأبان ابنا سعيد بن العاص ابن أميــــة، وعبد الله بن رواحة، وعمرو بن العاص، وخالد بن الوليد، والأرقم بن أبي الأرقم[1]..

كيفيّة الكتابة بين يديه عليه الصلاة والسلام:

قال زيد بن ثابت رضي الله عنه: كنت أكتب الوحي عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهو يُملي عليّ، فإذا فرغت قال: (اقرأْ، فأقرأه، فإذا كان فيه سَقطٌ أقامه ثم أخرج به إلى الناس)[2].

وقال ابن عباس وعثمان رضي الله عنهما: كان رسول

---

(١) انظر فتــح الباري جـ ٩ ص ١٨ والأسمــاء واللغات للنووي حـ ١ ص ٢٩.

(٢) رواه الطبراني بسند رجاله موثقون.

الله صلى الله عليه وآله وسلم مما يأتي عليه الزمان وهو تُنزّل عليه السُور ذوات العدد، فكان إذا انزل عليه شيء منه دعا بعض من كان يكتب فيقول : (ضعوا هذه الآيات في السورة التي يُذكر فيها كذا وكذا)، وإذا نزلت عليه الآية يقول : (ضعوا هذه الآية في السورة التي يُذكر فيها كذا وكذا)[1].

الدور الثاني :

إستحفاظ النبي عليه الصلاة والسلام أصحابه للقرآن :

روى البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه قال : سمعت النبي صلى الله وآله وسلم يقول : (خُذوا القرآن من أربعة : من عبد الله بن مسعود، وسالم ـ بن معقل، مولى أبي حذيفة ـ ومُعاذ بن جبل، وأُبيّ بن كعب).

---

(١) رواه الترمذي وقال : هذا حديث حسن.

وقد كان جميع الصحابة يتبادرون إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وإلى من سماهم من الحفظة يأخذون منهم القرآن ويحفظونه، كلٌّ على قدر طاقته.

وقد استطاع استجماعَ القرآن كلَّه غير هؤلاء الأربعة: أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي ابن أبي طالب، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وأبو زيد عم أَنس بن مالك، وأبو الدرداء، وأبو أيوب الأنصاري، وعبادة بن الصامت، وطلحة، وحذيفة، وأبو هريرة، وسعد بن عبيد. ومن النساء الصحابيات: عائشة وحفصة وأم سلمة أَزواج النبي صلى الله عليه وسلم.

وليست هذه التسمية للحصر، فقد ثبت في الصحيح أَنَّ يوم بئر مَعُونة قُتل من الأنصار سبعون كانوا يُسمّون القُراء، وكانت هذه الغزوة في السنة الرابعة للهجرة.

هذا بالإضافة إلى من حفظ أجزاء القرآن من الألوف المؤلفة الذين لا يحصون .

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يستقرىء بعض أصحابه للقرآن ، ففي الصحيحين عن عبد الله بن مسعود قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (إقرأ عليّ) ، فقلت : يا رسول الله أأقرأ عليك ، وعليك أنزل؟ قال :(نعم ، إني أحب أن أَسمعه من غيري).

حتى بلغ من عنايته عليه الصلاة والسلام في تحفيظ أَصحابه كلام الله تبارك وتعالى أَن كان يرغبهم في حفظه فيقول لهم كما في صحيح ابن حبان : (تعلّموا القرآن ، واقروؤه ، فإن مثل القرآن لِمنْ تعلمه فقرأَه كمثل جرابٍ محشوٍّ مِسكاً يفوح ريحه في كل مكان ، ومن تعلمه فيَرْقُدُ وهو في جوفه ، مثله كمثل جِرابٍ أُوكيء على مِسْك) .
ويقول كما في الصحيحين . (خيركم من تعلم القرآن وعلمه).

ويقول كما في المستدرك بإسناد صحيح : (من قرأ القرآن فقد استدرج النبوّة بين جنبيه غير أنه لا يُوحى إليه).

ويقول كما في مسند أحمد بإسناد رجاله ثقات : (اقرؤوا القرآن ولا تغلوا فيه ، ولا تجْفُوا عنه ، ولا تأكلوا به ، ولا تستأثروا به) ، ويقول فيما رواه الترمذي بسند صحيح : (الذي يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السَّفَرة الكِرام البَرَرَةِ والذي يقرأهُ وهو عليه شاقٌّ له أَجران). ويقول فيما رواه الحاكم بسند صحيح : (إن لله أَهلين من الناس) قالوا : مَنْ هم يا رسول الله ؟ قال : (أَهل القرآن ، هم أَهلُ الله وخاصَّتُهُ) . ويقول فيما رواه ابن حبان في صحيحه : (يُقال لصاحب القرآن : إقرأ وارْقَ ، ورتل كما كنت ترتل في الدنيا ، فإن منزلك عند آخر آية تقرؤها). وفي صحيح ابن حبان أَيضاً : (عليك بتلاوة القرآن ، فإنه نورٌ لك في الأرض ، وذُخرٌ لك في السماء) . ويقول فيما

رواه الحاكم بسند صحيح : (إن الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرِب).

وكان عليه الصلاة والسلام يرشدهم إلى ما يقوي حفظ القرآن ، فيقول فيما رواه البخاري ومسلم ، (إنما مثلُ صاحب القرآن كمثلِ الإبل المُعَقَّلَةِ ، إنْ عَاهَدَ عليها أَمسكها ، وإنْ أَطلقها ذهبت) . ويقول فيما رواه ابن نصر في كتابه قيام الليل : (إذا قامَ صاحبُ القرآن فقرأَهُ بالليل والنهار ذكره — أي، بقي حافظاً له — وإن لم يَقُمْ بهِ نسِيَهُ).

الدور الثالث :

لتوثيق النص القرآني منعه عليه الصلاة والسلام مَن طلب منه كتابة غير القرآن من أَحاديثه الشريفة :

فقد روى الخطيب في تقييد العلم أن أَبا سعيد الخدري

قال : جهدنا بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يأذن لنا في الكتاب فأبى) ، وفي رواية : (استأذنا النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الكتابة فلم يأذن لنا) .

وروى مسلم عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : (لاتكتبوا عني ، ومنْ كتبَ عني غير القرآن فليَمْحُه) .

وفي تقييد العلم للخطيب أن أَبا هريرة قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ونحن نكتب الأحاديث فقال :(ماهذا الذي تكتبون ؟) ، قلنا : أَحاديث نسمعها منك ، قال : (كتابٌ غير كتاب الله ؟! أَتدرون ماضلَّ الأُممَ قبلَكم إلا بما اكتتبوا من الكُتب مع كتاب الله تعالى) .

فبهذا النهي من الرسول عليه الصلاة والسلام توقف الصحابة عن كتابة الحديث واتجهوا به إلى تمكينه في

الأذهان والفكر خشية نسيانه .. واقتصروا بالكتابة على القرآن الكريم خشية دخول ماليس منه، وذلك حيطة في العناية والرعاية التي فرضها رسول الله صلى عليه وآله وسلم في ذلك الحين.

إلا أنه عليه الصلاة والسلام قد أجاز لبعض أصحابه على الخصوص بكتابة أحاديثه الشريفة ، وذلك ما رواه الدارمي في سننه ص ١٢٥ عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أريد حفظه ، فنهتني قريش ، وقالوا : تكتب كل شيء سمعته من رسول الله صلى الله وآله وسلم ، ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بشر يتكلم في الغضب والرضا ، فأمسكت عن الكتاب ، فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فأوما بأصبعه إلى فيْهِ وقال : (أكتب فوالذي نفسي بيده ما خرج منه إلا حقاً).

وروى الإمام أحمد في مسنده عن أبي هريرة ، أنه لما فتح الله على رسوله صلى الله عليه وآله وسلم مكة قام الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وخطب في الناس ، فقام رجل من أهل اليمين يقال له ، أبو شاه ، فقال : يا رسول الله ، أكتبُوا لي ـــ أي ، ما قـــد سمعته من قوله عليه الصلام والسلام ـــ فقال : (اكتبوا له) .

وفي الإصابة وفتح الباري ج ١ ص ٢١٧ ، أن أباهريرة رضي الله عنه كان يقول : « مامن أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم أحدٌ أكثر حديثاً عنه ـــ صلى الله عليه وآله وسلم ـــ إلا ما كان من عبدالله بن عمرو ، فإنه كان يكتب ولا أكتب » .

وفي طبقات ابن سعد ج ٧ ص ٤٩٤ ، عن إسحاق بن يحيى عن مجاهد أنه قال : رأيت عند عبد الله بن عمرو صحيفة ، فسألته عنها ، فقال : هـذه الصادقة ، فيها ما سمعت من

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وليس بيني وبينه فيها أَحد !!».

ففي هذه الأحاديث والآثار في هذا الموضوع ، أَن نهي النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن كتابة أَحاديثه مع القرآن ، إنما كان خوف الإلتباس والإختلاط ، وأَن النهي — والله أعلم — كان لصرف هِمم الصحابة للاشتغال بالقرآن الكريم وتدوينه وتوثيق نصه وتوكيد لفظه ، وترك الحديث للممارسة العملية ، لأنهم كانوا يُطبقون هديه فيه ، فيرَون فيتبعون .. ويسمعون فيهتدون ..

وإلى جانب هذا سمح عليه الصلاة والسلام لمن كان يأمن منه اختلاط القرآن بغيره أن يُدون الحديث كعبد الله بن عمرو بن العاص ، وذلك لِما كان يراه عليه الصلاة والسلام من عبد الله ، فقد روى النسائي بسند صحيح أن عبد الله ابن عمرو قال : جمعت القرآن ، وقرأت به كل ليلة ، فبلغ

النبي صلى الله عليه وآله وسلم ذلك ، فقال : (إقرأه في شهر) ، قلتُ : أستطيع أكثر من ذلك .. » . كما أنه عليه الصلاة والسلام أباح لمن يصعب عليه حفظ حديثه ، أن يستعين بالكتابة ، حتى إذا حفظ المسلمون القرآن الكريم وميزوه عن الحديث بطبيعتهم وسليقتهم الإسلامية نُسخ النهي بالإباحة عامة .

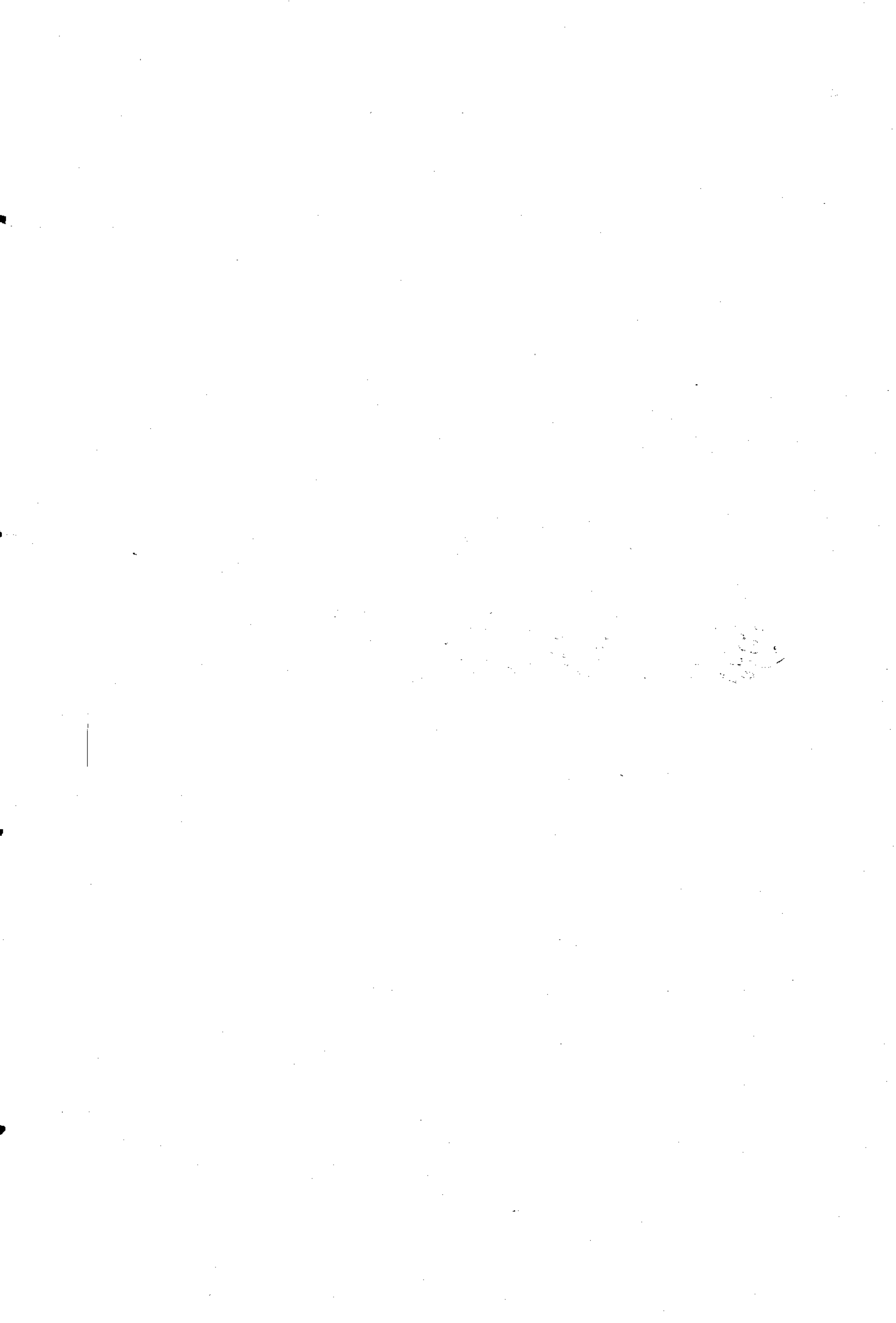
فقد روى مسلم عن ابن عباس أنه قال ، لما اشتدّ بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم وجعه قال : (ايتوني بكتاب أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده) ، قال عمر : إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم غلبه الوجع — وهو يريد بذلك أن يستعفيه — وعندنا كتاب الله حسبنا ، فاختلفوا وكثر اللغط ، قال : (قوموا عنّي ، ولا ينبغي عندي التنازع) . فقوله عليه الصلاة والسلام هذا هو واضح في أنه كان يريد أن يملي عليهم شيئاً من سنته الطاهرة .. فيُفهم

من دَلالة ذلك أنه أباح ما كان محظوراً على الصحابة ومن بعدهم من كتابة الحديث الشريف بشكل عام ، والله أعلم .

وهكذا .. قضت النبوّة حياتهـــا الطيبة في الرعاية والعناية في توثيق النص القرآني الكريم بالإضافة إلى ما كانت تحمله من أعباء حمل الدعوة الإسلامية وبناء الدولة الإسلامية التي كانت ترفل بنعيم ظلال الوحي الإلهي ...

وتنتهي مرحلة التوثيق الأولى بعرض القرآن الكريم على الوحي جبريل عليه السلام مرتين ، روى البخاري عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : كان يُعرض على النبي صلى الله عليه وآله وسلم القرآنُ كلَّ عـام مرّةً ، فعُرض عليه مرتين في العام الذي قُبض فيه » . وروى أيضاً عن فاطمة رضي الله عنها أنها قالت : أسـرّ إليّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم ،(أن جبريل كان يعارضني بالقرآن في كل سنة ، وأنه عارضني العام مرتين ، ولا أراه إلا حضَر أجلي) .

المرحلة الثانية لتوثيق النص القرآني:
جَمْعُ القُرآنِ وكتابتُه في عهدِ الخليفةِ الصِّدِّيق



المرحلة الثانية لتوثيق النص القرآني :
جَمعُ القُرآن وكتابتُه في عَهْدِ الخليفَةِ الصِّدِّيق

لما التحق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالرفيق الأعلى ، ورجعت نفسه الطاهرة إلى ربها راضية مرضية ، تولى أمر الأمة أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه ، وكان ذلك في السنة الحادية عشرة من الهجرة ، فظهر مسيلمة الكذاب الذي ادعى النبوّة زوراً وبُهتاناً ، يطمع في حكم العرب ، وكان يتخذ ادعاء النبوّة وسيلة لذلك ، فثار إثر وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على الخليفة الصديق ، فجهز له أبو بكر جيشاً لمحاربته ..

ولما دارت رحى الحرب ، وكانت المعركة حامية

الوطيس ، استشهد فيها كثير من الصحابة ، وكان من بينهم ما يقرب من السبعين من حفظة القرآن الكريم ، فهال ذلك جميعَ المسلمين ، وعزَّ الأمر على عمر بن الخطاب ، فدخل على أبي بكر وأخبره الخبر ، وأشار عليه بجمع القرآن ، قبل أن يستحرَّ القتل بباقي القراء في معارك قادمة ، ومازال به يؤكد عليه ذلك حتى أقرَّهُ ..

روى البخاري أن زيد بن ثابت قال : أرسل إليّ أبو بكر مقتلَ أهلِ اليمامة — أي : حين مقتلهم — فإذا عمر ابن الخطاب عنده ، فقال أبو بكر : إن عمر بن الخطاب أتاني فقال : إن القتل استحر — أي : اشتدّ — يوم اليمامة بقُراء القرآن ، وإني أخشى أن يستحر القتل بالقراء في المواطن ، فيذهب كثير من القرآن ، وإني أرى أن تجمع القرآن . فقلت لعمر : كيف تفعل شيئاً لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟ فقال عمر : هو والله خير ،

فلم يزل يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك ، ورأيت في ذلك الذي رآه عمر .

قال زيد : قال أبو بكر : « إنك شاب عاقل لا نتهمك ، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فتتبّعَ القرآن فاجمعْه » ، فوَالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل عليَّ مما أمرني به من جمع القرآن .

قلت : كيف تفعلان شيئاً لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟ قالا : هو والله خير . فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شُرح له صدرُ أبي بكر وعمر . فتتبّعت القرآن أجمعـــه من العُسُب واللّخاف وصدور الرجال ، حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمـــة ـ أي : ابن أوس بن زيد ـ الأنصاري لم أجدها مع غيره ، (لقد جاءكُمْ رسُولٌ مِنْ أنفسِكمْ . .) إلى آخر السورة .

فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله ، ثم عند عمر في حياته ، ثم عند حفصة بنت عمر ».

وقوله . حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة » ليس معناه إثبات الآية بخبر الواحد ، لأن زيداً كان قد سمعها وحفظها وعلم موضعها في سورة التوبة من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فكان ذلك زيادة في التوثيق والتحري والتأكيد ..

وفي رواية ، « ففقدت آية كنت أسمعها من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، لم أجدها عند أحد ، فوجدتها عند رجل من الأنصار » وهو خزيمة بن ثابت بن فاكه بن ثعلبة ، الذي كان يعرف بذي الشهادتين لكثرة تصديقه لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، والآية هي قوله تعالى : (من المؤمنين رجالٌ صدقوا ما عاهدوا الله عليه ..) .

فقوله ، « ففقدت آية كنت أسمعها من رسول الله .. »

يبيّن لنا أنه كان لا يكتب إلا من مَعِين ما كُتب بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا من مجرد الحفظ دون الكتابة[1] !!..

وهكذا .. مضى زيد رضي الله عنه يجمع القرآن الكريم فيما تفرق بين أيدي المسلمين من أجزائه وسوره من العُسُف واللخاف والصحائف والألواح ، ومن أفواه الرجال ، في مصحف واحد ، بحضور ومشهد وعلم جميع الصحابة الذين عاصروا نزول الوحي ورافقوا حوادثه ووقائعه ، فأتى جمع هذا المصحف على غاية من البيان والرعاية والإتقان !!..

وقد امتاز هذا الجمع الذي حقق المرحلة الثانية لتوثيق النص القرآني الكريم بالميزات التالية :

أولاً : أن كل من كان قد تلقى عن رسول الله صلى

---

(١) انظر الاتقان في علوم القرآن (ج ١ ص ٥٨) .

الله عليه وآله وسلم شيئاً من القرآن أتى وأدلى به إلى زيد.

ثانياً : أن كل من كتب شيئاً في حضرته عليه الصلاة والسلام من القرآن أتى به إلى زيد.

ثالثاً : أن زيداً كان لايأخذ إلا من أصل قد كُتب بين يدي النبي عليه الصلاة والسلام.

رابعاً : أن الجمع بعد المقارنة بين المحفوظ في الصدور والمرسوم في السطور والمقابلة بينهما لابمجرد الاعتماد على أحدهما.

خامساً : أن زيداً كان لايقبل من أحد شيئاً حتى يشهد معه شاهدان على سماعه وتلقيه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فيكون بذلك قد تمَّ هذا التدوين عن طريق الأداء الجماعي ، والثلاثة أقل الجمع.

سادساً : أن ترتيبه وضبطه على حسب العرضة الأخيرة على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قبل التحاقه بالرفيق الأعلى.

هذا .. وقد كان يشارك زيداً في هذه المهمة العظيمة عمرُ بن الخطاب ، فعن عرُوة بن الزبير أن أبا بكر قال لعمر وزيد : « أقعدا على باب المسجد ، فمن جاءكم بشاهدين على شيء من كتاب الله فاكتباه » . قال الحافظ السخاوي في « جمال القُراء » : المراد أنهما يشهدان على أن ذلك المكتوب كُتب بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أو المراد أنهما يشهدان على أن ذلك من الوجوه التي نزل بها القرآن »[1].

روى ابن أبي داود في كتابه « المصاحف » أن علي بن أبي طالب قال : « أعظم الناس أجراً في المصاحف أبو بكر رحمة الله على أبي بكر هو أول من جمع « القرآن بين اللوحين ».

---

(١) الاتقان جـ ١ ص ٥٨ .

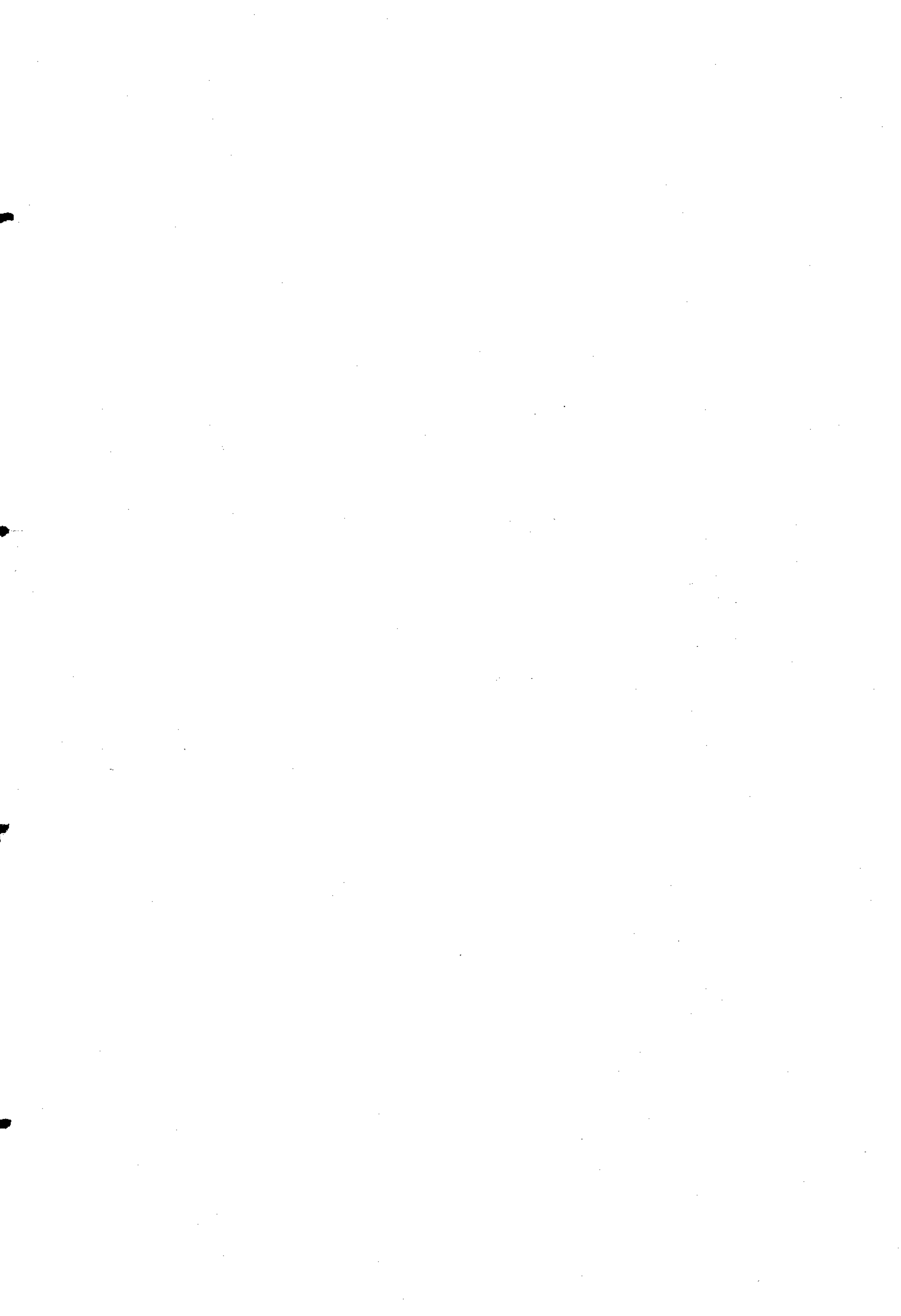
مصاحف الصحابة :

وقد كان بعض الصحابة يكتب القرآن في مصحفه من تلقاء نفسه، فمنهم : مصحف عبد الله بن مسعود، ومصحف أبي بن كعب ، ومصحف عبد الله بن عمر ، ومصحف زيد ابن ثابت . وكلهم قرأوا القرآن الكريم وحفظوه على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، إلا أن زيد بن ثابت كان آخرهم عرضاً على النبي عليه الصلاة والسلام ، إذا كان ذلك في عام وفاته صلى الله عليه وآله وسلم .

وقد كانت هذه المصاحف وعامة الصُحف التي كتبت في زمن نزول الوحي في خدمة هذا المصحف الذي جُمع على عهد الخليفة الصديق رضي الله تعالى عنه .

المرحلة الثالثة لتوثيق النّصّ القرآني :

الجَمْعُ الثّاني وَاسْتِنْسَاخُ مَصَاحِفِ الأمْصَارِ في عَهْدِ أمِيرِ المؤمنين عُثمان بْن عَفّان



المرحلة الثالثة لتوثيق النّص القرآني :

الجمعُ الثّاني واستِنْسَاخُ مَصَاحِفِ الأمْصَارِ في عَهْدِ أميرالمؤمنين عُثمان بن عَفّان

لما امتدت الفتوحات الإسلامية في زمن أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه ، واتسعت رقعة الإسلام ، وانتشر الصحابة في أقطار الأرض وأمصارها ، واختلط العرب بغيرهم من الأمة الإسلامية .. وأصبح أهل كل بلد ومِصر من العالم الإسلامي يتلقون القرآن الكريم عمن وفد إليهم من رهط رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فكان أهل الشام يقرؤون بقراءة أُبيّ ابن كعب ، وأهل الكوفة يقرؤون بقراءة عبد الله بن مسعود ، وهكذا كل بلد يقرأ بقراءة من حلّ به من الصحابة ..

فكان بين تلك القراءات التي تحمّلها الصحابة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فروق في وجوه أداء القرآن لاشتمالها على الأحرف السبعة التي كانت رخصة من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لقبائل العرب في قراءة القرآن بلغاتهم ولهجاتهم التي جرت عادتهم باستعمالها ، ونص هذه الرخصة قد بلغ رتبة التواتر ، وهو قوله صلى الله عليه وآله وسلم : (إن هذا القرآن أُنزل على سبعة أَحرف ، فاقرؤا ما تيسر منها)[1] .

وقد كان ورود هذه الرخصة بعد الهجرة ، وذلك بعد أَن دخل في الإِسلام من القبائل المختلفة ، بلهجات متباينة يصعب على كل منها تقليد غير لهجتها ، على ما فيهم من الأميّة ، ولذلك نجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : (إني بُعثت إلى أَمة أميين ، منهم الغلام والخادم

(١) فتح الباري للحافظ ابن حجر ج ٩ ص ٢١ .

والشيخ العاسي والعجوز)[1] . وقدتنبّه ابن قتيبة لاختلاف لهجات العرب التي كانت سبباً في اختلاف قراءاتهم فقال : ولو أَن كل فريق من هؤلاء أُمر أَن يزول عن لغته ، وما جرى عليه اعتياده طفلاً وناشئاً وكهلاً ، لاشتدّ ذلك عليه ، وعظمت المحنة فيه ، ولم يمكنه إلا بعد رياضة للنفس طويلة ، وتذليل للسان ، وقطع للعادة »[2]. وهذا ما قرره الحافظ ابن الجزري فقال ، كانت العرب الذين نزل القرآن بلغتهم ، لغاتُهم مُختلفة ، وأَلسنتهم شتى .. فلو كُلِّفوا العُدول عن لغتهم ، والإنتقال عن أَلسنتهم لكان من التكليف بما لا يستُطاع »[3] .

في سنة : ٢٥ للهجرة ، ما بين السنة الثانية والثالثة من خلافة أَمير المؤمنين عثمان ، وبعد خمس عشرة سنة من

---

(١) تفسير الطبري جـ ١ ص ٣٥ . والبرهان جـ ١ ص ٢٢٧ .
(٢) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص ٣٠ .
(٣) النشر في القراءات العشر جـ ١ ص ٢٢ .

التحاق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالرفيق الأعلى.

فُتحت أَرمينية على يد أَهل الشام والعراق، وكان حذيفة بن اليمان ـــ صاحب سرّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ـــ على أَهل المدائن، وهي من جملة أَعمال العراق فكان من الغازيين في أرمينية [1].

فتنازع أهل الشام والعراق، أَهل الشام يقرؤن بقراءة أُبيّ بن كعب، فيأتون بما لم يسمع به أَهل العراق، وهؤلاء يقرؤون بقراءة عبد الله بن مسعود، فيأتون بما لم يسمع به أَهل الشام، فخطّأ بعضهم بعضاً [2].

فكان ممن رأى ذلك الخلاف أَمين سرّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حذيفة رضي الله عنه، فسمع ناساً من أَهل حمص يزعمون أَن قراءتهم خير من قراءة غيرهم، وأَنهم أَخذوا القرآن عن المقداد، ورأَى أَهل البصرة يقولون

(١) فتح الباري جـ ٩ ص ٣.
(٢) المصدر السابق جـ ٩ ص ١٤.

مثـــل ذلك ، وأنهم قرؤوا على أبي موسى الأشعري ، فغضب حـذيفة حين رأى ذلك واحمرت عينـاه ، فقام في النـاس خطيباً : فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : هكذا كان من قبلكم اختلفوا ، والله لأركبن إلى أمير المؤمنين». وجاء فزِعاً إلى المدينة ، ولم يدخـل بيته حتى أتى عثمان ، فقال له : يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى»[1] .

وقد صادف ذلك أن اختلافاً وقع مثله في المدينة بين متعلمي القرآن ومُعلميه ، فتعاظم ذلك في نفسه ، فخطب الناس فقال : أنتم عندي تختلفون وتلحنون ؟! فمَنْ نَأى عني من أهل الأمصار أشدّ فيه اختلافاً ، وأشدّ لحنـاً .. ثم قال : اجتمعوا يا أصحاب محمد فاكتبوا للناس إماماً[2] ــ أي ، مُصحفاً يكون إماماً ــ فلما اجتمع الصحابة

(١) فتح الباري جـ ٩ ص ١٤ .
(٢) تفسير الطبري جـ ١ ص ٢١ .

عنده ذا كرهم في أَمر اختلاف الناس في القراءة ، وقال : فقد بلغني أن بعضهم يقول : إن قراءتي خير من قراءتك، وهـــذا يكاد أَن يكون كفراً ؟! فقالوا له : فما ترى ؟ قال : أرى أَن نُجمع الناس على مُصحف واحد ، فلا تكون فُرقة ولا اختلاف ، فقالوا له : نِعْمَ ما رأَيت !! فأرسل أَمير المؤمنين عثمان إلى أَمّ المؤمنين حفصة رضي الله عنها ، أَن أَرسلي إلينا بالصُحف ننسخها في المصاحف »[1].

وفي المرشد الوجيز لأبي شامة المقدسي : أَن عثمان لما أَراد أَن يجمع المصحف خطب فقال : أُعزم على كل رجل منكم كان معه من كتاب الله عزّ وجلّ شيء لَمَا جاء به ، قال : فكان الرجل يجيء بالورقة والأديم ــ أَي الجلد ــ فيه القرآن ، حتى جمع من ذلك شيئاً كثيراً . ثم دخل فدعاهم رجلاً رجلاً يناشده : أَسمعته من رسول الله صلى

(١) فتح الباري جـ ٩ ص ١٥ .

الله عليه وآله وسلم ، وهو أَمْلَّه عليك ؟ فيقول : نعم ؛ فلما فرغ من ذلك قال : مَنْ أكتبُ الناس ؟ قالوا : كاتب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم زيد بن ثابت ، قال : فأيّ الناس أعرب ؟ — أي ، أفصح — قالوا سعيد ابن العاص « وكان سعيد أَشبه لهجة برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم » ، قال أمير المؤمنين عثمان ، فليُملِ سعيد وليكتبْ زيد ، فكتب مصاحفَ فرّقها في الناس »[1].

ثم ضمّ إليهما : عبد الله بن الزبير ، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، ثم قال للرهط القرشيين ، الثلاثة « سعيد وعبد الله وعبد الرحمن » : إذا اختلفتم أَنتم وزيد ابن ثابت في شيء من القرآن ، فاكتبوه بلسان قريش ؛ فإنما نزل بلسانهم — أَي ، غالبه — ثم احتاجوا إلى من يساعدهم في الكتابة ، وذلك لاستنساخ عــدة مصاحف

(١) المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز ص ٦٥ .

ترسل إلى الأمصار ، فانضم إلى جماعة زيد جماعة أخرى[1].

وقد عمد هؤلاء الكاتبون في كتابة المصحف وتوثيق نصه الكريم على ما استقرت عليه العرضة الأخيرة التي عارض بها النبي صلى الله عليه وآله وسلم جبريل مرتين قبل وفاته .

قال أبو عبد الرحمن السلمي « وكان قد أخذ القرآن عن عثمان وعلي وابن مسعود وزيد وأبيّ » : « قرأ زيد بن ثابت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في العام الذي توفاه الله فيه مرتين، وإنما سميت هذه القراءة قراءة زيد بن ثابت ، لأنه كتبها لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وقرأها عليه ، وشهد العرضة الأخيرة ، وكان يُقرىء الناس بها حتى مات ، ولذلك اعتمده أبو بكر وعمر في جمعه ، وولاه عثمان كتبَ المصاحف ، رضي الله عنهم

---

(١) فتح الباري جـ ٩ ص ٢٥ — ٢٦ .

أجمعين »[1] ولذلك أتي الجمع الأخير كاملاً تاماً ولله الحمد .

هذا .. وإن حاصل ما شهدت به الأخبار المتقدمة ، وما صرحت به أقوال الأئمة ، أن جمع القرآن على ما هو عليه الآن كان في زمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بإذنه وأمره وأن جمعه في الصحف خشية دثوره بقتل قرائه كان في زمن أبي بكر رضي الله عنه ، وأن نسخه في المصاحف حملاً للناس على اللفظ المكتوب حين نزوله بإملاء المُنْزَل إليه صلى الله عليه وآله وسلم ، ومنعاً من قراءة كل لفظ كان رُخصةً قبل زمن عثمان رضي الله عنه ، وكأن أبا بكر كان غرضه أن يجمع القرآن مكتوباً مجتمعاً غير مفرّق على اللفظ الذي أملاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على كتبة الوحي ليعلم ذلك ، ولم يَكل ذلك إلى حفظ من حفظه خشية فنائهم بالشهادة ، ولاِختلاف لغاتهم في حفظهم على ما كان أُبيح لهم

(١) المرشد الوجيز ص ٦٩ .

من قراءته على سبعة أحرف ، فلما ولَي عثمان وكثُر المسلمون وانتشروا في البلاد وخِيف عليهم الفساد من اختلافهم في قراءاتهم لاختلاف لغاتهم حملهم عثمان على ذلك اللفظ الذي جمعه زيد في زمن أبي بكر ، وبقي ما عداه ، ليجمع الناس على قراءة القرآن على وِفق ما نزل على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وعلى وفق ما كانت عليه العرضة الأخيرة ، لا كما رُخّص للناس من قراءة القرآن على لهجاتهم من قبل .

فقد اتضح بما ذكرناه معنى ما فعله كل واحد من الإمامين : أبي بكر وعثمان رضي الله عنهما ، وتبين أن قصد كل واحد منهما غير قصد الآخر ، فأبو بكر قصد جمعه في مكان واحد ، ذُخراً للإسلام والمسلمين ، وعثمان قصد أن يقتصر الناس على تلاوة القرآن على اللفظ الذي كُتب بأمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، ولا يتعدوه إلى غيره من اللهجات التي كانت مباحة لهم ، المنافية لخط

المصحف الذي دوّن أصولَ ما كُتب بحضرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم على مقتضى العرضة الأخيرة .

١ ــ مباحث متفرعة عن هذه المرحلة :

القرآن والخط واللغة التي كتب بها

من المقطوع به نقلاً وعقلاً : أن القرآن الكريم كُتب جميعُهُ بين يدي رسول الله صلى عليه وآلة وسلم ، وأن الذين اتخذهم من أصحابه لكتابة القرآن حين نُزوله كانوا على قدر رفيع من الثقة والعناية والرعاية والضبط والإتقان ومعرفة الكتابة العربية معرفة جيدة ، وأن ما أثبتوه من رسم النص القرآني بين يديه عليه الصلاة والسلام كان على غاية من قبول الله تبارك وتعالى له ، إذ لو كان من هؤلاء وعلى رأسهم زيد بن ثابت خلطٌ أَو خبط ، أَو عدم اتقان وضبط ، لأخبر الله نبيه بذلك فاتخذ غيرهم ممن هو أجود وأَحسن وأَضبط . أَمَا وأَنه لم يكن شيء من ذلك ..

فإنا نقطع بأن القرآن الكريم قد كتب بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على مُراد الله سبحانه ، وذلك لأن سبحانه وتعالى يأبى أن يُكتب كلامُه على حالة تتنافى مع قُدسيته وجلاله .. ويوضح ذلك أكثر : أن الوحي كان مستمراً في النزول ، والكتابة مصاحبة له ، فلو حصل خطأ في الكتابة ، أو سهو في مرسوم الكلمات القرآنية ، لنبّه الوحي على ذلك ، لأن سوء الكتابة ينتج عنه سوء القراءة ، فهل كان شيء من ذلك حتى يُتاح لأولئك المتبجحين على رسم المصحف الشريف الذي تولى كتابته كاتب الوحي الأمين زيد بن ثابت ، الذي كان يكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ثم من بعده كتب القرآن لأبي بكر أولاً ولعثمان ثانياً ؟! وهل كان الصحابة على قصر الباع في عدم إدراك السوء في الكتابة ، أو التقصير في تحسينها ، حتى جاء المتفيهقون بالنقد والتوجيه والتصويب ؟؟!!..

إن الواجب المؤكد على المسلمين عامة ، وعلى علمائهم خاصة أن يقفوا في وجه من يطعن برسم القرآن العثماني ، الذي تمّ على يدي زيد بن ثابت كاتب الوحي ، وأن يضربوا بأقوالهم عُرض الحائط ، وليثقوا بالرسم الذي أُطلق عليه « الرسم العثماني » نسبة لأمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه .

وذلك لأن كتابته أتت على وفق ما أقرّه عليه الصلاة والسلام في الكتابة التي تمت بين يديه عليه الصلاة والسلام ثم كان الإقرار العام التام من غير إكراه ولا إجبار من جميع الصحابة الذين لا يخافون في الله لومة لائم ، ثم انتهى الإقرار وامتدّ إلى التابعين وتابعي التابعين ، فلم يُخالف أَحد منهم في هذا الرسم ، ولم يرْد أَن أَحداً منهم فكر في استبدال مرسومه بمرسوم غيره حتى في عهد ازدهارِ التدوين والتأليف ، فكان الجميع على احترامه واتباعه ، وعدم إحداث أيّ تغيير فيه !!

قال الحافـــظ أبو عمرو الداني في كتابه « المقنع في معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار ص ١١٤ » : فإن سأل سائل عن السبب الموجب لاختلاف مرسوم هـــذه الحروف الزوائد في المصاحف ، قلت : السبب في ذلك عندنا : أن أمير المؤمنين عثمان بن عفان لما جمع القرآن في المصاحف ، ونسخها على صورة واحـدة ، وآثر في رسمها لغة قريش دون غيرها مما لا يصح ولا يثبت نظراً للأمة ، واحتياطاً على أهل الملة ، وثبت عنده أن هـذه الحروف من عند الله عزّ وجلّ كذلك منزّلة ، ومن رسول صلى الله الله عليه وآله وسلم مسموعة ، وعلم أن جمعها في مصحف واحد على تلك الحال غير متمكّن إلا بإعادة الكلمة مرتين ، وفي رسم ذلك كذلك من التخليط والتغيير للمرسوم ما لا خفاء به ، ففرّقها في المصاحف لذلك ، فجاءت مثبتةً في بعضها ، ومحذوفة في بعضها ، لكي تحفظها الأمة كما نزلت من عند الله عزّ وجلّ ، وعلى ما سُمعت من رسول الله صلى الله عليه

وآله وسلم ، فهذا سبب اختلاف مرسومها في مصاحف أهل الأمصار » .

وفي المقنع ص١١٨ : عن أبي عبيد قال : هذه الحروف التي اختُلفت في مصاحف الأمصار مثبتة بين اللّوحين، وهي كلها منسوخة من الإمام[١] الذي كتبه عثمان ، ثم بعث إلى كل أفق مما نسخ بمصحف ، وهي كلها كلام الله عزّ وجلّ » .

وقد سئل الإمام مالك : أرأيت من استكتب مصحفاً اليوم ، أترى أن يُكتب على ما أحدث الناس من الهجاء اليوم ؟ فقال : لا أرى ذلك ، ولكن يُكب على الكتبة الأولى » ، قال أبو عمرو الداني : ولا مخالف له في ذلك من علماء الأمة » .

ولذلك يرد التساؤل التالي :

هـــل رسم المصحف توفيقي بتقرير منه عليه الصلاة والسلام أم لا ؟..

---

(١) أي : نسخت من المصحف الإمام .

٢ ـ هل رسم المصحف توقيفي :

بتقرير منه عليه الصلاة والسلام ؟

ذهب جمهور العلماء إلى أن رسم المصحف الذي كُتب في زمن عثمان على يدي كاتب الوحي ، « زيد بن ثابت » توقيفي لا تجوز مخالفته في كتابة المصاحف وطبعها ، واستدلوا بما يلي :

أ ـ إن القرآن الكريم كُتب كلهُ بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وكان عليه الصلاة والسلام يملي على كاتب الوحي ، ويرشده في الكتابة بوحي من جبريل عليه السلام « ناظر الوحي » روى الطبراني بسند رجاله ثقات عن زيد بن ثابت أنه قال : كنت أكتب الوحي عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يُملي عليّ ، فإذا فرغتُ قال : (إقرأْ ، فأقرأهُ ، فإذا كان فيه سقْطٌ أَقَامه ، ثم أَخرج به إلى الناس).

٢ ــ إطباق القراء جميعاً على قواعــد رسم المصحف الذي أجمع الصحابة جميعاً على وجوب اتّباعه وعدم مُخالفته وإجماعهم لم يأتِ هكذا .. وإنمـا كان على دراية واضحة في أنـ رسمه توقيفي من رسول الله عليه الصلاة والسلام حسبما يقتضين النص الكريم . ولذلك نجد نصوص العلماء صريحة في وجوب التقيد به وعدم مخالفته، ففي (الكتاب) لابن درستويه ص٧ : « وجدنا كتاب الله جــلّ ذكره لا يُقاس هِجاؤه، ولا يُخالف خطه، ولكنه يُتلقى بالقبول على ما أودع المصحفُ » . وقال الإمام أحمــد : « يحرم مُخالفةُ خط مصحف عثمانـ في واوٍ أو ياء أَو ألفٍ أو نحو ذلك » . وقال الحافظ البيهقي في شُعب الإيمـان : « من كتب مُصحفاً ينبغي أن يُحافظ على الهجاء الذي كتبوا به تلك المصاحف، ولا يخالفهم فيه، ولا يُغير ممـا كتبوه شيئاً، فإنهم كانوا أكثر علمـاً، وأصدق قلبـاً ولسانـاً،

وأعظم أمانة ، فــــلا ينبغي أن نظن بأنفسنا استدراكاً عليهم » .

٣َ ـــ إجماع القراء قاطبة على أن الرسم العثماني يحتمل وجوهَ القراءات المتواترة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ولذلك شـــرط علماء الأصول « في القراءات المتواترة » أن تكون موافقة للرسم العثماني . ولهذا نجد جميع القراءات العشرة المتواترة مطابقة للرسم العثماني كل المطابقة إذا كان على شكله الأول من غير تشكيل ولا تنقيط .

٤َ ـــ لو كان الرسم العثماني غير توقيفي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، لكان تقريرياً منـه عليه الصلاة والسلام ، وذلك حجة شرعية لا مفرّ منها ، لأنه صلى الله عليه وآله وسلم كان يُشـرف على كتابة المصحف بنفسه فإن كان فيه سقط أقامـه كما قال زيد بن ثابت . وتقريره عليه الصلاة والسلام كقوله وفعله على حدٍّ سواء .

فمن زعم أن الرسم العثماني الذي تمّ على يدي زيد بن ثابت، كان على ما تيسّر هكذا .. على غير معرفة ولا ضبط، فهو طاعن بتقرير النبي صلى الله عليه وآله وسلم على صحة كتابة القرآن بين يديه . أو أن الله تبارك وتعالى لم يُطلع رسوله على ما وقع من الأخطاء في كتابة كلامه الكريم . وذلك مستحيل على الله سبحانه وتعالى ، قال سبحانه : (إنا نحنُ نزّلنا الذكرَ وإنّا له لحافظون)، الحِجر : ٩ .

٣ ــ خصائص الرسم العثماني :

وللرسم العثماني للقرآن الكريم خصائص كثيرة ، نجمل بعضها فيما يلي :

أولاً : اختصاصه بترتيب الآيات في مواضعها من السّوَر، ثم ترتيب السّوَر في مواضعها من المصحف الشريف وأن ذلك توقيفي من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن جبريل عن ربّ العالمين سبحانه وتعالى ، وقد نص

الحافظ السيوطي في (الإتقان) على أن أحاديث ترتيب الآيات في السّوَر ، وترتيب السّوَر في المصحف ، متواترة عن الصحابة عن رسول الله عليه الصلام والسلام .

ثانياً : اختصاصه بقواعد الرسم السبعة وهي : الحذف ، والزيادة ، والهمْزة ، والبدل ، والوصل ، والفصل ، وما فيه قراءتان فكُتب على إحداها . وذلك يقتضي وجوب أخذ القرآن وتلقي تلاوته عن طريق المشافهة ، وبذلك يتحقق اتصال السند من المقرىء المعلم إلى رسول الله عليه الصلاة والسلام إلى ربّ العالمين سبحانه وتعالى ، ولا يتحقق اتصال السند إلا عن طريق التلقي المباشر : قارىء عن قارىء ... إلى نهاية السند إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن غير تلقي تلاوة القرآن مُشافهةً عن المُقرئين يقع تالي القرآن في اللحن والخطأ في تلاوته وذلك حرام ؟!.

ثالثاً : احتماله جميع وجوه القراءات المتواترة عن رسول الله عليه الصلاة والسلام ، حتى أصبح من شروط كون القراءة متواترة موافقتها للرسم العثماني ، والقراءة المخالفة له تعتبر من الشواذ ، كما هو مبين في كتب القراءات المعتبرة .

رابعاً : تضمنه أسرارَ التنزيل الحكيم ، فمثلاً :

قوله تعالى في سورة الذاريات : ٤٧ (والسماءَ بنيناها بأييدٍ وإنا لمَوْسِعُون) ، بياءين وذلك للإيماء إلى قدرة الخالق تبارك وتعالى التي بنى بها السماء وأنها لا تشبهها قوة وذلك على حدّ القاعدة المشهورة ، « زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى » .

وقوله تعالى في الإسراء : ١١ « ويدعُ الإنسانُ بالشر دُعاءَهُ بالخير) ، وفي الشورى : ٢٤ (ويمحُ الله الباطل) ، وفي القمر : ٦ (يومَ يدعُ الداع) ، وفي إقرأ : ١٨ (سندعُ الزبانية) ، فإنها رُسمت في المصاحف العثمانية بغير واوٍ ، وفي ذلك سرٌّ دقيق لمن أمعن النظر فيها ،

فالسرُّ في حذفها التنبيه على سُرعة وقوع الفعل وسهولته على الفاعل ، وشدة قبول المتأثر به في الوجود . أما ســـرّ الحذف في الأولى فللإشــارة إلى أن الإنسان يُسارع إلى الدعاء بالشر ، كما يُسارع إلى الخير ، بل اثبات الشر إليه من جهة ذاته أقرب إليه من الخير ، ولا سيما عند الغضب وأما سرّ الحذف في الثانية فللإشارة إلى سرعة ذهاب الباطل واضمحلاله ، وأما سرّ الحذف في الثالثة فللإشارة إلى سرعة الدعاء وسرعة إجابة الداعين . وأما سرّ الحذف في الرابعة فللإشارة إلى سرعة الفعل وإجابة الزبانية .

وقوله تعالى في سورة القلم : ٦ (بأييكم المفتونـــ) ، أي : الذي فتنه الشيطان ، فزيادة الياء (بأيكم) للإشارة إلى أن الذي فتنه الشطان هم المشركون ، وفتنته بلغت بهم الغاية ، وتجاوزت الحدّ ، وأن المفتونين هُم ، لا أنتَ ، لأنك رسول الله ، فمـــن رماك به فقد رجع على نفسه

بالضلال، وبذلك يتوافق الرسم والمعنى، والكلام في ظاهره ترديدٌ بين أمرين ، وهو في الحقيقة يُراد به ما ذُكر، وهو لون من ألوان الحِجاج في القرآن الكريم .

وقوله تعالى في سورة يوسف : ٨٥ (تالله تفتؤا تذكرُ يُوسُفَ) ، بزيادة ألف تفتؤ للإشارة إلى كثرة ذلك ، وأن يعقوب عليه السلام ما كان ينفك عن ذكر ابنه يوسف .

وقوله تعالى في سورة طه : ١١٩ (وأنك لا تظمؤا فيها ، ولا تضحى) ، بزيادة ألف تظمؤ للدلالة على دوام عدم الظمإ ، واستمرار الري في الجنة .

وقوله تعالى في سورة الفرقان : ٧٧ (قل ما يعبؤا بكم ربي لولا دعاؤكم) ، بزيادة ألف يعبؤ للإشارة إلى مبالغة عدم عناية الله سبحانه بمن لا يعبده ، ولا يتضرع إليه .

وهكذا .. جميع الأحرف التي وردت في الرسم

العثماني زيادة على أصل الكلمة القرآنية فيها من الأسـرار ما يشير إلى أن هذا الرسم إما توقيفي وإما تقريري عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

وكذلك الحذف في الآيات التالية وأمثالها :

ففي سورة سبأ : ٥ (والذين سَعَوْ في آياتنا معُاجزين)، فحذف ألف سعوا ، للإشارة إلى أنه سعي باطل لا يصح أن يكون له ثبات في الوجود ، وأنهم لن يحصلوا منه على طائل يتحدون به ..

ومثل ذلك في سورة الأعراف :١١٦(وجاء وجاءو بسحر عظيم) ، وفي سورة الفرقان : ٤ (فقد جاءو ظلماً وزوراً) وفي سـورة يوسف : ١٦ ــ ١٨ (وجاءو أباهم عِشاءً يبكون) ، (وجاءو على قميصه بدمٍ كذب) ، وفي سورة الفرقان : ٢١ (وعَتَوْ عُتُواً كبيراً) ، كل ذلك للدلالة على أنه باطل ولا أثر له يذكر في الوجود . والله أعلم ! .

٤ — اللغة التي كتب بها القرآن الكريم :

روى البخاري في صحيحه في كتاب فضائل القرآن « باب نزول القرآن بلسان قريش والعرب » عن عثمان ابن عفان أنه قال للرهط الذين كلّفهم بكتابة المصحف : « إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في عربية من عربية القرآن فاكتبوها بلسان قريش ، فإن القرآن أُنزل بلسانهم ، ففعلوا ».

واللسان معناه : اللهجة التي تختصّ كل قبيلة من القبائل العربية ، وإلا فإن الله سبحانه قال : (إنّا أنزلناه قرآناً عربياً) ، فبديهي أن كتابته في المصحف إنما هي باللغة العربية والخط العربي .

فأصبح معنا : أن اللغة التي كُتب بها القرآن الكريم هي اللهجة التي اختيرت له من قِبل رب العالمين تبارك وتعالى . فإن قول عثمان : « بلسان قريش » ليس مجاله

الرأي والاختيار ، فتعين أنه كان بتوقيف من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وعلى هذا .. فلا تجوز كتابة القرآن بغير لهجة قريش .

وفي فتح الباري للحافظ ابن حجر : أن عمر بن الخطاب كتب إلى ابن مسعود : « إن القرآن نزل بلسان قريش ، فأقرئ الناس بلغة قريش ، لا بلغة هذيل » .

وقول عمر وعثمان : « بلسان قريش » معناه : أن القرآن نزل أولاً بلغة قريش ثم أبيح في قراءته وكتابته على ما رُخص به من اللهجات العربية الأخرى التي جعلها الله تعالى تسهيلاً وتيسيراً لهذه الأمة الأميّة التي لا عهد لها بالقراءة ولا بالكتابة .

أو أن معنى قولهما : أنه أنزل غالباً بلهجة قريش ، لأنها كانت أمّ العرب، وأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قريش ، وهذه القبيلة سُميت بهذا الاسم لأنها من

قريش الذي هو من ولد إسماعيل عليه السلام ، وأولاد إسماعيل أفصح من أولاد يعرب بن قحطان ، الذين تفرع منهم أهل اليمن وغيرهم من أهل العرب .. إذ قحطان إما ابن هود ، أو : ابن فخشذ بن سام بن نوح عليه السلام ، كما في لسان العرب .

وهنا يواجهنا سؤال وهو : ما هذه اللهجات العربية التي رُخص بها لقارئي القرآن في عهد النبوة ؟ : والجواب كما يلي :

ففي الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : (أقرأني جبريل عليه السلام على حرف واحد ، فراجعته ، فلم أزال أستزيده ، ويزيدُني ، حتى انتهى إلى سبعة أحرف).

قال في لسان العرب : وكلُّ كلمة تُقرأ على الوجوه من القرآن تسمى حرفاً ، تقول: هذا في حرف ابن مسعود

أي : في قراءة ابن مسعود .. والحرف : القراءة التي تُقرأَ على أَوجــه ، وما جاء في الحديث من قوله عليه الصلاة والسلام : (نزل القرآن على سبعة أَحرف ، كلهـا شافٍ كافٍ) ، أَراد بالحرف اللغة . قال أَبو عبيد وأَبو العباس : نزل على سبع لُغات من لغات اعرب ، قال : وليس معناه أَن يكون في الحرف الواحد سبعة أوجه ، هذا لم يُسمعْ به ، قال : ولكن يقول : هذه اللغات متفرقة في القرآن، فبعضه بلغة قريش ــ وهـــو الغالب ــ وبعضه بلغة هُذَيل ، وهكذا سائر اللغات ، ومعانيها في هـــذا كله واحد ».

ولهذا .. نجد الكثير من الروايات الثابتة عن الصحابة في رجوعهم إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين يسمعون من أحدهم قراءةً لم يكونوا قرؤوها من قبل ، فلنصغ إلى بعضها ، فإنها تجلية لهذا الأمر :

ففي صحيح البخاري . أن عمر بن الخطاب قال . سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فاستمعت لقراءته ، فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يُقرئنيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فكدت أساوره في الصلاة ، فتصبّرت حتى سلم ، فلببته بردائه فقلت : من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأ ؟ قال : أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فقلت : كذبت ، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد أقرأنيها على غير ما قرأتَ ، فانطلقت به أقوده إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فقلت : إني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعمر : (أرسله) فأرسله عمر ، فقال لهشام : (إقرأ يا هشام) ، فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرأ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (كذلك أنزلتْ) ، ثم قال : (إقرأ يا عمر) ،

فقرأت القراءة التي أقرأني ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . (كذلك أنزلتْ ، إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف ، فاقرؤوا ما تيسَّر منه) .

وفي صحيح مسلم : أن أبيّ بن كعب قال : كنت في المسجد ، فدخل رجل فصلى ، فقرأ قراءة أنكرتها ، ثم دخل آخر ، فقرأ قراءة سوى قراءة صاحبه ، فلما قضينا الصلاة دخلنا جميعاً على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقلت : إن هذا قرأ قراءة أنكرتُها عليه ، ودخل آخر فقرأ سوى قراءة صاحبه ، فأقرأهما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فقرأا ، فحسّن النبي صلى الله عليه وآله وسلم شأنهما ، فسقط في نفسي من التكذيب ، ولا إذْ كنت في الجاهلية ، فلما رأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما قد غشيني ضرب في صدري ، ففضتُ عرقاً ، وكأنّما أنظر إلى الله عزّ وجلّ فرقاً - أي : خوفاً - فقال : (يا أبيّ إنّ

ربي أرسل إليّ أن أقرأ القرآن على حرف ، فرددْتُ إليه أن هوّنْ على أُمتي ، فردّ إليّ الثانية : إقرأه على حرفين ، فرددتُ إليه يهوّن على أمتي فردّ إليّ في الثالثة : إقرأْه على سبعة أَحرف ، ولك بكل ردّةٍ رددتُكها مسألةٌ تسألُنيها فقلت : اللهم اغفرْ لأمتي ، اللهم اغفرْ لأمتي ، وأخّرْت الثالثة ليوم يرغبُ إليّ الخلق كلهم حتى إبراهيم صلى الله عليه وسلم) .

وفي مسند أَحمد بسند صحيح : عن أَبي الجهم أَن رجلين اختلفا في آية من القرآن قال هذا : تلقنتُها من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فقال الآخر : تلقنتُها من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فسألا النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال : (القرآن يُقرأُ على سبعة أَحرف فلا تُماروا في القرآن ، فإنّ مِراءً في القرآن كفر). والمِراء : الجدال على سبيل الشك والريبة .

هذا .. وقد اختلف العلماء في معنى قوله عليه الصلاة والسلام في نزول القرآن على سبعة أَحرف ، حتى وصلت أَقوالهم في ذلك إلى خمسة وثلاثين قـــولاً ، قال الإمام البغوي صاحب شرح السنة . « أَظهر الأقاويل وأَصحها وأَشبهها بظاهر الحديث : أَن المراد من هـذه الحروف : اللغات ، وهو أَن يقرأَ كل قـــوم من العرب بلغتهم ، وما جرت عليه عادتهم من الإدغام والإظهار والإمالة والتفخيم والإشمام والإتمام والهمز والتليين ، وغير ذلك من وجوه اللغات إلى سبعة أَوجه منها » .

ثم قال : « ولا يكون هـذا الاختلاف داخلاً تحت قوله تعالى : (ولو كانَ من عِندِ غير الله لَوَجدُوا فيه اختلافاً كثيراً) ، النساء : ٨٢ إذ ليس معنى هذه الحروف أَن يقرأَ كل فَريق بَما شاء مما يوافق لغته من غير توقيف ، بل كل هذه الحروف منصوصة ، وكلها كلام الله عزّ وجلّ ،

نزل بها الروح الأمين على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، يدل عليه قوله عليه الصلاة والسلام : (إن هذا القرآن أُنزل على سبعة أَحرف) . فجعل الأحرف كلها منزّلةً ، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعارض جبريل عليه السلام في كل شهر رمضان بما يجتمع عنده من القرآن ، فيُثبت الله فيه ما شاء ، وينسخ ما يشاء ، وكان يعرض عليه في كل عرضة وجهاً من الوجوه التي أَباح الله له أَن يقرأَ القرآن به ، وكان يجوِّز لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأمر الله تعالى أَن يقرأ ويُقرىء بجميع ذلك ، وهي كلها متفقة المعاني وإن اختلف بعض حروفها ».

٥ ــ القراءات المتواترة والأحرف السبعة :

قال الإمام مكي بن أَبي طالب القيسي في كتابه « الإبانة عن معاني القراءات ص ٢١ ــ ٢٣ . « هذه القراءات كلها التي يقرأبها الناس اليوم ، وصحت روايتها عن الأئمة ،

إنما هي جزء من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن ، ووافق اللفظُ بها خطَ المصحف، مصحف عثمان ، الذي أجمع الصحابة فمن بعدهم عليه واطرُح ما سواه ، مما يخالف خطه .. وساعده على ذلك زهاء اثني عشر ألفاً من الصحابة والتابعين ».

قال : « فأما من ظن أن قراءة كل واحد من هؤلاء القراء كنافع وعاصم وأبي عمرو ، أحدُ الحروف السبعة التي نص النبي صلى الله عليه وآله وسلم عليها ، فذلك منه غلط عظيم » ص ٢٥ .

ثم قال : « فحصل من جميع ما ذكرنا وبينّا أن الذي في أيدينا من القرآن هو ما في مصحف عثمان الذي أجمع المسلمون عليه وأخذناه بإجماع يقطع على صحة مغيّبه وصدقه »

« والذي في أيدينا من القراءات هو ما وافق خط ذلك المصحف من القراءات التي نزل بها القرآن ، فهو من الأجماع أيضاً . وسقط العمل بالقراءات التي تخالف خط المصحف »

ص ٣٠ ـــ ٣١ وذلك لانتهاء زمن الرخصة التي كانت في عهد النبوة .

٦ ـــ سبب اختلاف القراء في القراءات :

قال الإمام القيسي في كتـابه « الإبانة » ٦١ ـــ ٦٢ :

« فإن سأل سائل : ما العلة التي من أجلها كثر الاختلاف عن هؤلاء الأئمة ، وكل واحـــد منهم قد انفرد بقراءة اختارها مما قرأ به على أئمته ؟ » .

قال : « فالجواب : أن كل واحد من الأئمـة قرأ على جماعـــة بقراءات مختلفة ، فنقل ذلك على ما قرأ ، فكانوا في برهة من أعمارهم ، يُقرؤون الناسَ بما قرؤوا ، فمن قرأ عليهم بأي حرف كان ، لم يردوه عنه ، إذْ كان ذلك مما قرؤوا به على أئمتهم ».

« ألا ترى أن نافعاً قال : « قرأت على سبعين من التابعين فما اتفق عليه اثنان أخذته ، وما شذّ فيه واحد تركته » : يريد ـ والله أعلم ـ مما خالف المصحف » أي : العثماني .

٧ – سبب استشهار القراءات بأسماء رواتها :

قال الإمام القيسي في كتابه « الإبانة » ص ٦٣ ـــ ٦٥ :

« فإن سأل سائل : ما العلة التي من أجلها اشتهر هؤلاء السبعة بالقراءة دون من هو فوقهم ، فنُسبت إليهم السبعة الأحرف مجازاً ، وصاروا في وقتنا أشد من غيرهم ممن هو أعلى درجة منهم وأجل قدراً ؟».

قال : « فالجواب : أن الرواة عن الأئمة من القراء كانوا في العصر الثاني والثالث كثيراً في العدد ، كثيراً في الاختلاف فأراد الناس في العصر الرابع أن يقتصروا من القراءات التي توافق المصحف على ما يسهل حفظه ، وتنطبط القراءة به ، فنظروا إلى إمام مشهور بالثقة والأمانة في النقل وحُسن الدين وكمال العلم . . واشتهر أمره بالثقة وأجمع أهل مصره على عدالته فيما نقل ، وثقته فيما قرأ وروى ، وعلمه بما يقرأ ، ولم تخرج قراءته عـــن خـط مصحفهم المنسوب إليهم ،

فأفردوا من كل مصرٍ وجّه إليه عثمان مُصحفاً إماماً ، هذه صفته وقراءته على مصحف ذلك المصر » .

« فكان أبو عمرو من أهل البصرة . وحمزة وعاصم من أهل الكوفة وسوادها . والكسائي من أهل العراق . وابن كثير من أهل مكة . وابن عامر من أهل الشام . ونافع من أهل المدينة . وكلهم ممن اشتهرت إمامته ، وطال عمره في الإقراء ، وارتحال الناس إليه من البلدان ، ولم يترك الناس مع هذا نقل ما كان عليه أئمة هؤلاء من الاختلاف ، ولا القراءة بذلك » .

« وأول من اقتصر على هؤلاء السبعة : أبو بكر بن مجاهد ، قبل سنة ثلاثمائة أو نحوها ، وتابعه ، على ذلك من أتى بعده إلى الآن ، ولم تُترك القراءة برواية غيرهم واختيار من أتى بعدهم إلى الآن » . ثم أتى ابن الجزري فضم إلى هؤلاء السبعة الثلاثة الباقين الذين تواترت قراءاتهم

وتوفرت شـــروطهم . وهم : أبو جعفر ، ويعقوب ، وخلَف ، أما أبو جعفر فهو : يزيد بن القعقاع المدني . ويعقوب هو : ابن إسحاق الحضرمي . وخلف هو : ابن هشام البزار ، رحمهم الله جميعاً .

٨ – تدوين القراءات المتواترة السبع :

قال أبو الحسن علي بن محمد في كتابه « جمال القراء » ص ١١١ : « لما كان العصر الرابع سنة ثلاثمائة وما قاربها ، كان أبو بكر بن مجاهد رحمه الله ، قد انتهت إليه الرياسة في علم القراءة ، وقد تقدم في ذلك على أهل ذلك العصر ، اختار من القراءات ما وافق خط المصحف ، ومن القراء بها من اشتهرت قراءته ، وفاقت معرفته ، وقد تقدم أهلَ زمانه في الدين والأمانة والمعرفة والصيانة ، واختاره أهل عصره في هذا الشأن ، وأطبقوا على قراءته ، وقُصِد من سائر الأقطار ، وطالت ممارسته للقراءة والإقراء ، وخُصّ

في ذلك بصول البقاء ، ورأى أن يكونوا سبعة تأسياً بعدّة المصاحف الأئمة ـ أي : التي نسخت في زمن عثمان ـ وبقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم : (إن هذا القرآن أُنزل على سبعة أحرف من سبعة أبواب)ـ رواه الطبري ص ٧٠ ج ١ ـ فاختار هؤلاء القراء السبعة أئمةَ الأمصار ، فكان أبو بكر ابن مجاهـــد أول من اقتصر على هؤلاء السبعة ، وصنف كتابه في قراءاتهـم ، واتّبعه الناس على ذلك ، ولم يسبقه أحـد إلى تصنيف قراءة هؤلاء السبعة » . ثم تعاقب من بعده المدونون والمصنفون للقراءات السبع ، إلى أن جاء ابن الجزري فألف كتابه الجامع « النشـــر في القراءات العشر » وضمّ إلى السبـع الثلاثة التي أثبت تواترها عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

المرحلة الرابعة لتوثيق النص القرآني :

ضبط الحركات للآيات وتنقيط المصاحف العثمانية



المَرحَلة الرّابعَة لتوثيق النّصّ القرآني :

ضَبطُ الحَرَكَاتِ للآيَاتِ وَتنقيطُ المَصَاحِفِ العُثمَانِيّة

للتنقيط معانٍ : قال في لسان العرب في مادة « نقط »: النقطة واحدة النُقَط ، والنِّقاط : جمع نقطه .. ونقطَ الحرفَ يَنْقُطه نقطاً : أعْجَمه . هذا من حيث اللغة .

أما من حيث الاصطلاح فلها معنيان متقاربان :

الأول : نَقْط الإعجام، وهو نقْط الحروف في سِمتها، للتفريق بين الحروف المشتبهة في الرسم ، كنقط الباء بنقطة من تحتها ، ونقط التاء باثنتين من فوقها ، ومثلها الثاء بثلاث ..

الثاني : نَقْط الإعراب ، أو نقط الحركات ، وهو

للتفريق بين الحركات المختلفة في اللفظ ، كنقطة الفتحة : بنقطة من فوق الحرف ، ونقطة الكسرة : بنقطة من تحت الحرف، ونقطة الضمة : بنقطة أمام الحرف أو بين يديه[1] .

وقد جعل الأقدمون النوعين مُشتركين في الصورة بجعلهما نقْطاً مُدوّراً من حيث اشتراكُهما في المعنى والغاية، لتفريق الحروف المتشابهة في الرسم، بحيث كان النقط يفرق بينهما ، كالتفريق بالحركات المختلفة بعضها من بعض . قال الحافظ أبو عمرو الداني في كتابه « المحكم في نقط المصاحف» ص٤٣ : ان اصطلاحهم على جعل الحركات نقْطاً كنقط الإعجام قد يتحقق من حيث كان معنى الإعراب التفريقَ بالحركات ، وكان الإعجام أيضاً يُفرق بين الحروف في الرسم ، وكان النقط يفرق بين الحركات المختلفة في اللفظ ، فلما اشتركا في المعنى أُشرِكَ بينهما في الصورة ».

وقد أَحدث المسلمون من التابعين هذين النوعين من

(١) انظر كتاب « النقط » للحافظ أبي عمرو الداني ص ١٢٤ – ١٢٥ .

النقط لضبط ألفاظ القرآن الكريم ، ولصونه من الخطأ في الكتابة ، ومن اللحن في القراءة .

أما النوع الأول من النقط : فهو المدُوّر ، وسُمي نقطاً لكونه على صورة الإعجام الذي يُرسم نُقطاً مُدوّرة . وهذا النوع هو الذي استعمله النّقاط وأصحاب القراءات لضبط المصاحف وهو من وضع (أبي الأسود الدُؤلي) على القول الأصح .

وأما النوع الثاني : فهو الشكل ، وهذا النوع هو الذي استعمله النحويون وعلماء اللغة لضبط الشعر وألفاظ اللغة ، وهو من وضع الخليل بن أحمد ، وقد أخذه من أشكال الحروف . فالضمة واوٌ صغيرة الصُّورة في أعلى الحرف ، لئلا تلتبس بالواو المكتوبة ، والكسرة ياءٌ تحت الحرف ، والفتحة ألفٌ مبطوحة فوق الحرف .

وأما سبب إحداث تنقيط المصاحف : فهو فساد الألسنة

في اللغة العربية ، ووُقوع اللحن في قراءة القرآن الكريم . فكان ذلك داعياً إلى صون القرآن من الحريف والتزييف في كتابته وتلاوته .

وقد اتفق المؤرخون على أن العرب في عهودهم الأولى لم تعرف اصطلاحات التنقيط في كتاباتهم التي كان يكتبها كتّابهم ، وحتى مجيء الإسلام .. فكان الصحابة رضي الله عنهم ينطقون بالقرآن الكريم واللغة العربية بألفاظ مضبوطة المخارج دقيقة الحركات الإعرابية بحسب سليقتهم وفطرتهم العربية من غير لحن ولا غلط ، وذلك لِما كان متأصلاً في نفوسهم من الفصاحة والبلاغة .

فلاِستقامة ألسنتهم وسلامة نطقهم ، لم يكونوا بحاجة إلى معرفة القواعد الإعرابية، ولهذا .. لما كُتبت المصاحفُ في عهد النبوة كانت مجردة من الشكل والنقط ، اعتماداً على هذه الأصالة .. وتلك السليقة ..

فلما اتسعت رقعة الإسلام واختلط العرب بالعجم ، وتآخوا في الإسلام وتناسبوا وتصاهروا ، وتولّد من هؤلاء الآباء وتلك الأمهات أولادٌ أخـذوا شيئاً من لغة الأب وشيئاً من لغة الأم ، واتسع الأمر على طول وعرض الأمة الإسلامية ، فضعفت الفطرة العربية ، ودخـــل اللحن في الكلام ، وحدثت حوادث نبهّت المسلمين إلى القيام بحفظ القرآن الذي هو أصل الدين ومنبع الحق المبين ، من أن يتطرق إلى قارئه وتاليه شيءٌ من اللحن أو الخطأ .

وكان ممن تنبه إلى ذلك والي البصرة « زياد » فسأل أبا الأسـود الدؤلي أن [illegible]ع للناس علامات تدل على الحركات وال[illegible] ان سمع أبو الأسود قارئاً يقرأ قول الله تعالى (إن اللهَ بريءٌ مِنَ المشركينَ ورسولُهُ) ، بجر « رسولُهُ » فأزعجه ذلك وقال : عزَّ وجه الله أن يبرأ من رسوله ، وذهب إلى زياد والي البصرة ، وقال له : قـد

أجبتك إلى ما سألت ، فجعل للفتحة نقطةً فوق الحرف ، وللكسـرة نقطة أسفله ، وللضمة نقطة بين الحرف والذي قبله ، وللتنوين نقطتين .

وسار الناس على هذا المنهج مدّة ، ثم بدأوا يزيدون ويبتكرون ، فجعلوا علامة للحرف المشدد كالقوس ، ولألف الوصل جرة فوقها أو تحتها أو وسطها على حسب ما قبلها من فتحة أو كسـرة أو ضمة ، حتى كان عهد عبد الملك بن مروان ، ثم اضطروا إلى وضع النقْط الذي هو الإعجام للباء والتاء والثاء .. ثم التبس النقط بالشكل فميزوا بينهما باللون والرسم ، إلى أن تمّ الوضع على ما هو معهود اليوم ...

وقد اشتهر في عملية الشكل والإعجام للكلمات القرآنية : أبو الأسود الدؤلي ، وتلميذيه : نصر بن عاصم الليثي ، ويحيى بن يعمر العدواني ، وخليل بن أحمد ، وابن سيرين . وكانوا على درجة عالية من العلم والورع والدين .

المرحلة الباقية لتوثيق النص القرآني الكريم

تكفل الله تعالى بحفظه وتخليده حتى قيام الساعة

لقد تكلمنا فيما سبق عن مراحل توثيق القرآني الكريم ضمن أَزمان محدودة وعُهود معينة ، ولكن كلامنا هنا عن هذه المرحلة هو بيان تكفّل الله تبارك وتعالى بحفظ ما أَنزله على رسوله عليه الصلاة والسلام من كلامه الحق وهديه المبين ، من أَول آية أَنزلها حتى آخر آية ... بل حتى قيام الساعة ، ولهذا كان الفضل الأول والأخير في نجاح المراحل التي مرّ بها السلف الصالح في توثيق نص كلام ربهم تبارك وتعالى ، يعود إلى تكفّله سبحانه لحفظ كتابه المجيد ، من أَن يأتيه الباطل من بين يديه أَو من خلفه ، ثم تخليدِه على هذا الحال حتى يرث الله الأرض ومن عليها ..

ومن فضل الله سبحانه على هذه الأمة الإسلامية ، أَنه لم يعهد بحفظ القرآن الكريم إلى هذه الأمة أَو إلى علمائها فقط

كما كان الحال في الأمم السابقة .. وإنما أَوْكل ذلك إلى عظيم حفظه وكبير رعايته ، فقال سبحانه : (إنّا نحنُ نزّلنا الذكرَ وإنّا لهُ لحافظون) الحِجر : ٩ ، ولمّا كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يمضي في تلاوته بعد وحيه على حالة من الاسراع والعجلة خشية تفلّته منه عليه الصلاة والسلام ، أَمره الله تعالى بقوله : (لا تُحرّكْ بهِ لسانَكَ لِتعْجَلَ بهِ ، إنَّ علينا جمعَهُ وقرآنه ، فإذا قرأْناهُ فاتّبعْ قُرآنه ، ثُمَّ إنَّ علينا بيانَهُ) القيامة : ١٦ ـــ ١٩ ، فطمْأنه سبحانه بحفظه عليه وعلى أَمتـه من بعده حتى قيام الساعة . وذلك إعظاماً لأعظم معجزاته عليه الصلاة والسلام ، لأنه سبحانه قد تحدّى بسورة منه أفصحَ العرب لساناً ، وأَقدرَ الناس بياناً ، وأَعتى البشـر عناداً ، فلم يقدروا على أَن يأتوا بآية مثله ..

ثم إن هـذا القرآن الكريم لم يزلْ يُتلى آناء الليل

وأطراف النهار ، مع تداوله نقلاً وكتابةً ، ثم دراســـةً واستنباطاً ، ما يقارب من ألف وأربعمائة سنة هجرية ، على الرغم من كثرة الملحدة وأعداء الإسلام، ولم يردْنا على طول وعرض التاريخ أن أحداً منهم استطاع معارضة شيء من القرآن الكريم !! فأيُّ دلالة أعظم على صدق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيما جاء به من عنــد ربه سبحانه من أنه تعالى قد تكفّل بحفظه ورعايته ، من هذا ؟!!..

ولهذا .. لم تَحْتَجْ هذه الأمـــة إلى نبي بعد نبيّها عليه الصلاة والسلام ، كما كان الحال في الأمم الماضية، حيث لم يخلُ زمانٌ من أزمنتهم من نبي يخلف من سبقه ، من أجل أن يحكمهم بكتابهم ويهديهم إلى ما ينفعهم في آجلهم عاجلهم ، قال الله تعالى : (إنا أنزلنا التوراةَ فيها هدىً ونورٌ يحكُمُ بهـا النبيّوُنَ الذين أسلموا للذين هادُوا ، والربّانيُونَ والأحبارُ بما اسْتُحْفِظُوا منْ كتابِ الله وكانوا عليه شُهدَاءَ) المائدة :

٤٤ ، ومعنى استُحفِظوا ، أي : أُمِرُوا بحفظه ، فوَكل الله تعالى حفظ التوراة إلى أَحبارهم ، ولهذا .. دخلها من بعد أَنبيائهم التحريفُ والتبديل ..

حفظة كتاب الله في الاسلام هم جنود الله :

ولمّا تكفّل الله تعالى بحفظ القرآن المجيد خصّ به من شاء من هذه الأمة الإسلامية ليقوم على خدمته وحراسته ، فأورث هذه المهمة الجليلة من اصطفاه منها ، قال الله تعالى : (والذي أَوْحينا إليكَ مِنَ الكتابِ هو الحقُّ مُصدِّقاً لِما بينَ يديهِ ، إنّ الله بعباده لخبيرٌ بصير ، ثُمَّ أَوْرثنا الكتابَ الذينَ اصطفينا منْ عبادِنا فمنهُمْ ظالمٌ لنفسهِ ومنهمْ مقْتصِدٌ ومنهم سابقٌ بالخيراتِ بإذنِ الله ، ذلكَ هو الفضْلُ الكبير) فاطر : ٣١ — ٣٢ ، فأخبر سبحانه في الآية الثانية عن أُناس من هذه الأمة بأنه يصطفيهم لِوِراثة كتابه الكريم ، فيحفظونه في صدورهم ، ويرعَوْنه بأرواحهم ، ويخدمونه

بأفئدتهم ، ويحرسونه بأبصارهم وبصائرهم ، وهذه خاصيّة خصَّ الله سبحانه بها هؤلاء ، ولذلك ميّزهم عن غيرهم بأن من كان « منهم ظالماً لنفسه » يغفر له ، ومن كان « منهم مقتصداً » يحاسبه حساباً يسيراً ، ومن كان « منهم سابقاً بالخيرات » يدخله الجنة بغير حساب ، كما جاء في تفسير الطبري لهذه الآية المباركة ، ولهذا .. أشار سبحانه إلى كبير فضله في آخرها فقال : (ذلك هو الفضلُ الكبير) ، فأيُّ فضل أَعظم من هذا الفضل الذي خصّ الله به حفظةَ كتابه وورثة كلامه وحُرّاسَ دينه ؟!!..

ولهذا .. قال عليه الصلاة والسلام فيما رواه النسائي وابن ماجه والحاكم بإسناد صحيح : (إنَّ لله أَهلينَ مِنَ الناس) ؟! قالوا : منْ هُمْ يارسول الله ؟! قال : (أَهلُ القُرآن ، همْ أَهلُ الله وخاصَّتُهُ) ، فياهناءَ من كان منهم ، ونال شرف هذا النسب العظيم !!...

صححه الألباني

القرآن الكريم كتاب لا يغسله الماء عن صفحات الوجود :

روى الإمام مسلم في صحيحه في كتاب الجنـــة : باب الصفات التي يُعرف بها في الدنيا أَهلُ الجنة وأَهلُ النار : أَن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول عن ربه تبارك وتعالى أَنه قال : (إنمـا بعثتُك لأبتليَكَ ، وأَبتلي بك ، وأَنزلتُ عليكَ كتاباً لا يغسلُهُ الماء ، تقرؤه نائماً ويقظياناً) ففي هذا الحديث القدسي يخبر سبحانه : بأن هذا الكتاب الذي أَنزله على رسوله عليه الصلاة والسلام محفوظ من الزوال والاندثار حتى يرث سبحانه الأرض ومن عليها .. حيث يرفعه الله سبحانه إليه .. والكتاب الذي لا يغسله الماء : هو الذي لا يصله التحريف ، وهذه بشارة من الله تعالى لرسوله عليه الصلاة والسلام : بأن هـــذا الكتاب الذي أَنزلته عليك تقرؤه نائماً ويقظاناً هو أيضاً مستودَعٌ في قلوب من بعدك من المسلمين فلا يصل إليه الماء فيغسله ، وهذا كنايه

على عدم وصول يَدِ التحريف والتبديل إليه، وأن أعداءه الكافرين لا يقدرون على محوه من صفحات الوجود ، وهذا فضلٌ عظيم من الله سبحانه على هذه الأمة الإسلامية في حفظ قرآنها عليها ، لفظاً ومعناً .. وهذا .. بخلاف حال أهل الكتاب الماضين الذين أُوْكلوا بحفظه ورعايته، فلم يقوموا بذلك .. فــلم يكن التبديل والتحريف والتزييف من أعدائهم، وإنما كان منهم، من أحبارهم ورهبانهم .. حتى كانوا لايحفظونه عن ظهر قلب ، ولا يَدَعُون أحداً غيرهم يفعل ذلك، فقد كانت أسفار كتبهم مكتومة في سراديبهم محجوبة عن أعين أُمتهم .

ولّما خصّ الله تعالى من شاء من هذه الأمة الإسلامية بشرف حفظه عن ظهر قلب ، أقام له أئمـةً ثقاتٍ تجردوا لرعايته والعناية به ، وبذلوا كلَّ غالٍ في حياتهم من أجل اتقان حفظه ، وتحسين تلاوته ، وتجويد ترتيله ، متلقين ذلك

كابراً عن كابرٍ من شيوخهم حتى مُنتهى سِدّه سنده المطهر : سيدنا محمد رسول الله عليه الصلاة والسلام إلى أمين الوحي : سيدنا جبريل عليه السلام ، حرفاً حرفاً .. وكلمةً كلمةً .. وآيةً آيةً .. وسورةً سورةً .. من غير أن يهملوا منه حركة .. أو سكوناً .. أو يَهِمُوا في شيء من ذلك .. فلم يدخل فيه ماليس منه ، ولم يخرج عنه ماهو منه !! ونحن الآن نقرؤه كما كان يقرؤه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على أصحابه ، وهم على أشدّ حالة من الوعي واليقظة ، فيتلقون منه عليه الصلاة والسلام كلامَ الله تعالى من فمه الشريف بعد انفصام الوحي عنه : كلمةً كلمةً ، وآيةً آيةً ، فيحفظونه في صدورهم ، ويكتبونه في مصاحفهم ، ليتعاضد المحفوظ بالمكتوب ، فيتوفر للقرآن الكريم أكمل عوامل الحفظ والبقاء ، وهكذا تمَّ الحال مستمراً في حمل القرآن وأدائه جيلاً جيلاً حتى هذا الزمان ..

ومما يتفرع عن هذا البحث هذه الفصول التي نبحث فيها

عن بعض فضائل القرآن الكريم وأهله، وعن بعض آدابه وآداب حملة، ثم نذكر طائفةً من النصوص القرآنية والنبوية ندخل من خلالها إلى رحاب الوعي القرآني، وبالله المستعان :

١ ـ مع القرآن الكريم والهدي النبوي :

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيما رواه إماماً أهل الحديث : البخاري ومسلم في صحيحيهما : (خيرُكُمْ مَنْ تَعلَّمَ القرآنَ وعَلَّمَه) . وفي رواية عند الطبراني بإسناد جيد : (خيرُكُمْ مَنْ قَرأَ القرآنَ وأَقْرَأَه) ، صدق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

إن من فضل القرآن الكريم : كونُه كلامَ الله تبارك وتعالى ، كلامَ مَنْ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ، وصفةَ من ليس له شبيه ولا نِدّ ، ولولا أنّ الله تعالى جعَلَ في قلوب عباده المؤمنين من القوّة على حمله ووعيه ما جعَلَهُ . .

ليتدبروا آياته وليتذكروا بها ، لضعُفتْ .. بل ولتَضَعْضَعتْ لثقله .. وأنى لهذه القلوب أن تطيقه لولا فضل الله سبحانه ؟ القائل : (لو أنزلْنا هـــذا القرآنَ على جبلٍ لرأيْتَهُ خاشِعاً متصدِّعاً منْ خشيةِ الله) الحشر : ٢١ ، فأين قوّة القلوب هذه .. من قوّة الجبال ؟!.. ولكنّ الله تعالى من كمال فضله على خلقه أن رزقهم على حمله ما شاء أن يرزقهم رحمةً منه وكرماً ..

ولعظة هذا القرآن المجيد لا يقدر أحدٌ من الخلق أن يفيَه حقَّه من الوصف الذي يستحقه أو الثناء الذي يليق به غير الذي أنزله والذي أُنزل عليه : قال الله تعالى : (اللهُ الذي نزّلَ أحسنَ الحديث كتاباً مُتشابهاً مثانيَ تقشعرُّ منه جُلودُ الذين يخشَوْنَ ربّهم ثم تلينُ جُلودُهم وقلوبُهُــمْ إلى ذكرِ الله ، ذلكَ هُدَى اللهِ يهدي بهِ منْ يشاء) الزمر : ٢٣ .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيما رواه ابن

حبان في صحيحه : (عليكَ بتلاوةِ القرآنِ ، فإنّهُ نورٌ لكَ في الأرضِ وذُخرٌ لكَ في السماءِ) ، وقال أيضاً فيما رواه ابن حبان في صحيحه : (القرآنُ شافعٌ مُشفَّعٌ ، وما حلٌ - أي : مُدافع - مصدّقٌ ، مَنْ جعلَهُ أمامَهُ قادَهُ إلى الجنّة ، ومن جعلَهُ خلف ظهرِهِ ساقَهُ إلى النار) .

قال الله تعالى في سورة هُود : (... كتابٌ أُحكمتْ آياتُهُ ثُمَّ فُصِّلتْ من لَدُنْ حكيمٍ خبير) . وقال سبحانه في سورة ابراهيم : (... كتابٌ أنزلناهُ إليـــكَ لتُخرجَ الناسَ مِنَ الظلماتِ إلى النُّور بإذْنِ ربّهم إلى صراطِ العزيز الحميد) .

وقد أمر سبحانه رسوله عليه الصلاة والسلام في سورة فُصلتْ بأن يقول في القرآن : (قلْ هوَ للذينَ آمنوا هُدىً وشفاءٌ) . ثم قال سبحانه في سورة يونس : ٣٧ (وما كانَ هذا القرآنُ أن يُفترى مِنْ دُونِ الله ولكنْ تصديقَ الذي

بينَ يديهِ وتفصيلَ الكتابِ لا رَيبَ فيه مِنْ ربِّ العالمين).

وقال سبحانه في سورة الإسراء : ٩ (إنَّ هـذا القرآنَ يهـدي للتي هي أقْوَمُ ويُبشِّـــرُ المؤمنينَ الذينَ يعملونَ الصالحاتِ أنَّ لهمْ أجراً كبيراً). وقال سبحانه في السورة نفسها : ٨٢ (ونُنزِّلُ مِنَ القرآنِ ماهو شفاءٌ ورحمـــةٌ للمؤمنين).

٢ — مع القرآن الكريم وأهله :

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيما رواه الحاكم بسند صحيح : (إنَّ لله أهلينَ مِنَ الناس) ، قالوا : منْ همْ يارسول الله ؟! قال : (أهلُ والقرآنِ !! هُمْ أهلُ الله وخاصّتهُ).

وقال عليه الصلاة والسلام فيما رواه الحاكم أيضاً بإسناد صحيح :(منْ قرأ القرآن فقدْ استدرجَ النبوّةَ بينَ جنبيه

غير أنَّهُ لا يُوحى إليه ، ولا ينبغي لصاحبِ القرآنِ أنْ يجدَ معَ وَجد ـ أي : أن لا يغضب ولا يحقد كغيره ـ ولا يجهلْ معَ منْ جهِلَ ، وفي جَوْفِهِ كلامُ الله) ؟!

وقد روى الرامهرمزي أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سُئل عن أي الأعمال أفضل ؟ فقال : (الحالُّ المُرْتحل) ، ويريد بذلك عليه الصلاة والسلام الذي يختم القرآن ثم يفتتحه بالقرآءة من جديد ، وهكذا .. وبهذا الحديث أخذ عبد الله بن كثير أحد الأئمة القُرّاء السبعة ، فقد روى عنه ابن أبي بَزّة المكي بإسناده إليه : أنه كان يأمر القارىء إذا ختم عليه القرآن أن يفتتح بعقب ذلك فيقرأ : « الحمد لله رب العالمين » ، وخمسَ آيات من البقرة ، ليكون مُرتحلاً من ختمة حالّاً في ختمة أُخرى اتباعاً للحديث الشريف .

وقد روى ابن الجزري في كتابه النشر في القراءات

العشر جـ ١ ص ٣ . أن الإمام أبو عبدالرحمن السُّلَمي التابعي الجليل يقول لمّا يروى هذا الحديث عن عثمان : عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم : (خيركم منْ تعلّمَ القرآنَ وعلمّه) . « هذا الذي أقعدني مقعدي هذا » ، يشير إلى كونه جالساً في المسجد الجامع بالكوفة ، يعلّم القرآن ويُقرئه ، مع جلالة قدره وكثرة عمله ، وحاجة الناس إلى علمه ، وبقي يُقرىء الناس بجامع الكوفة أكثر من أربعين سنة ، وعليه قرأ الحسنُ والحسينُ رضي الله عنهما ، ولذلك كان السلف رحمهم الله لايعدلون بإقراء القرآن شيئاً ؟!! فقد روينا عن شقيق أبي وائل : قال قيل لعبد الله بن مسعود رضي الله عنه : إنك تُقلُّ الصوم ؟ قال : إني إذا صُمتُ ضعُفْتُ عن القرآن ، وتلاوة القرآن أحبُّ إليَّ . وفي جامع الترمذي من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :(منْ شغلَهُ القرآنُ عن ذكري ومسألتي أعطيته أفضل ما أُعطي السائلين) ،

قال الترمذي : حيث حسن غريب .

٣ ــ مع آداب القرآن الكريم وحملته :

يقول الله تبارك في سورة البقرة : ١٢١ (الَّذينَ آتيناهُمُ الكتابَ يتْلُونَهُ حَقَّ تلاوَتِهِ أُولئكَ يُؤمنونَ به) ، صدق الله العظيم .

فحق التلاوة أَن يتلوَ القارىء للقرآن بالنية الخالصة لله سبحانه وتعالى ، ثم بالتزام أَحكامه وتنفيذ أَوامره واجتنات نواهيه ، والاتعاظ بمواعظه ، مع التفكّر بآياته وإدراك معانيها ، ثم ينبغي لحامل القرآن أَن يكون خائفاً من ربه سبحانه راجياً عفوه ومغفرته ، متوكلاً عليه واثقاً بنصره لأهل دينه ، داعياً للناس إلى هدي ربه عزَّ وجل . كما ينبغي لصاحب القرآن ألاّ يخوض فيما يخوض به عامة الناس من اللهو واللعب والتنابز بالقول الفاحش ، وألاّ يجهل مع من يجهل ، ولكن يعفو ويصفح ، لحق

القرآن عليه ، لأن في جوفه كلام الله تعالى . ثم ينبغي له أَن يكون متواضعاً متجنباً العُجبَ والكِبْر ، مُبتعداً عن الجدال والمراء ، وأَن يأخذ نفسه والناسَ بالرفق والأدب .

وأَهم مايجب عليه وينبغي له أَن يكون شديد الاحترام للقرآن الكريم ، وَقُوراً في تلقيه ، هيّاباً في آدابه ، خاشعاً في تلاوته ، يسأل الله تعالى من فضله عند كل آية رحمة ، ويستعيذ به سبحانه من عذابه ومقْته عند كل آية عذات .

وكما يجب أن يُوقّر القرآن الكريم في أَسمائه وأَوصافه ، وألاّ يصف آية أَوسورة أَو مصحفاً بالصِغَر ، فقد روى الأعمش عـــن علي بن أَبي طالب رضي الله عنه أَنه قال : « لا يُصغر المصحف » ، وذكر ابن الأنباري أَنّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه قرأَ خطاً عُبّر فيه بلفظ « مصحف صغير » فقال : من كتب هذا ؟ فقال رجل : أَنا يا أَمير المؤمنين ، فضربه بالدرّة وقال : « عظّمُوا القرآن ».

ومن آكد مايجب على حافظ القرآن الكريم أَلاّ يرى

أنّ أحداً أُوتي أفضل مما أُوتي هو ، من حفظه لكلام الله تعالى إلاّ من أُوتي مثل ما أُوتي هو ، وأَن يفرحَ به فَرَحَ الغني بماله ، بل أَكثر من فرحته ، لأن المال زائل عنه حين يموت ، أَما القرآن الكريم فإنه معه شافع له مُدافع عنه ، قال الله تعالى في ســورة النساء : ١١٣ (وأَنزلَ الله عليكَ الكتابَ والحكمةَ وعلَّمكَ ما لمْ تكُنْ تعــلم ، وكانَ فضْلُ الله عليك عظيماً)، ولم يُعطِ الله سبحانه نبيه الكريم نعمةً أَجلَّ ولا أَكبر من نعمة هذا الذكر الحكيم والهدي المبين !! ولولا القرآن الكريم لَما كان نبياً ولا رسولاً !! ولهذا قال عليه الصلام والسلام : « من قرأَ القرآنَ فقد استدرج النبوّة بين جنبيه ، غيرَ أَنّهُ لا يُوحى إليه ».

أَما الآداب التي يجب أَن تُسلك مع حملة القرآن الكريم فهي لا تقل شأناً عن الآداب التي يجب أَن يتصف بها المسلم تجاه القرآن ، وذلك لأن إكرام حامل القرآن هو تعظيم لجلال الله سبحانه ، فقد قال عليه الصلاة والسلام فيما رواه

البيهقي في شعب الإيمان بإسناد حسن : (إنَّ منْ تعظيمِ جلالِ الله إكرام ثلاثة : الإمامِ المُقْسِط ، وذي الشيبةِ المسلم ، وحاملِ القرآنِ غير الغالي فيه ، ولا الجافي عنه) وأَورد السيوطي في الجامع الكبير حديثاً ونسبه لأبي نصر السجزي في الإبانة عن عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (القرآنُ أَفضلُ منْ كلِّ شيء ، فمنْ وقَّرَ القرآنَ فقد وقَّرَ الله ، ومن استخفَّ بالقرآنِ فقدِ استخف بحقِ الله ، حَمَلَةُ القرآنِ هُمْ المحْفُوفُونَ برحمةِ الله ، المعظَّمونَ كلامَ الله ، المُلْبَسُونَ نورَ الله ، فمن وَالاَهُمْ فقد وَالى الله ، ومنْ عاداهُمْ فقد استخفَّ بحقِّ الله عز وجل) ثم قال أَبو نصر : « هذا من أَحسن الحديث وأَغرِبه ، وليس في إسناده إلا مقبولٌ ثقة »!!..

٤ ـــ مع القرآن الكريم في ترتيله وتجويده :

ترتيل القرآن الكريم وتجويده :

فالترتيل : هو تبيينُ حروفِ القرآن الكريم عند النطق به، التجويد هو تحسين أَداء التلاوة لآياته ، ليكون ذلك أَدعى إلى فهم المعاني القرآنية ، فقد روى الطبري بسند صحيح عن مجاهد في قوله تعالى : (ورَتلِ القرآنَ ترتيلاً) قال : « بعضه في أَثرِ بعض على تُؤدَةٍ » ، وقال أَيضاً في تفسيره لقوله تعالى :(.. كذلِكَ لِنُثَبِّتَ به فُؤادكَ ورتّلناه تَرتيلاً) : « ورتّلناه ترتيلاً : علمنَاكَهُ شيئاً بعد شيء حتى حفظته . والترتيل في القرآن : هو التَّرسُلُ والتَّثبت ».

وأَما التجويد : فإنه يطلق في عُرف اللغة على الإتقان والتحسين ، وأَما في عُرف الشـرع : فإنه يقصد منه عند القُراء : تحسين تـلاوة القرآن الكريم على حسب ما أَنزل الله تعالى على نبيه عليه الصلاة والسلام، بإخراج كل حرف

من مخرجه، وإعطائه حقّه من الصفات التي تتعلق به .. من غير تكلف ولا تعسف، ولا ارتكاب مايخرجه عن القرآنية وهو يبحث عن مخارج الحروف وصفاتها، كالجهر والشدّة والاستعلاء والاستفال، والغُنة وغيرها كما هو مُبين في كتاب « الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة »، للإمام «أبي محمد مكي بن أَبي طالب القيسي»، فارجع إليه فإنه هام في موضوعه .

وحكمه : العلمُ به فرضٌ على الكفاية، والعملُ به - أَي : تطبيقه تلاوةً - فرضٌ على كل قارىء لقول الله تعالى : (ورتّلِ القرآنَ ترتيلاً) .

ومراتب القراءة اربعة :

الأولى : الترتيل، وهو القراءة بتُؤَدَةٍ واطمئنان، مع إخراج كل حرف من مخرجه، وإعطائه حقّه من صفاته اللازمة له، مع تدبّر معاني كل كلمة ...

الثانية : التحقيق ، وهو مثل الترتيل إلا أنه أكثر منه اطمئناناً ، وهو المأخوذ به في مقام التعليم عند المقرئين .

الثالثة : الحَدْرُ ، وهو الإسراع في القراءة مع مراعاة أحكام التلاوة .

الرابعة : التدوير ، وهو مرتبة متوسطة بين الترتيل والحدر .

وأفضل مراتب التلاوة ما ورد النص به ، قال الله تعالى « ورتّلناه ترتيلاً » ، فالترتيل أفضل هذه المراتب .

٥ ـ تجويد التلاوة وتحسين الصوت :

جاء في صحيح البخاري[١] أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يتغنى بالقرآن ، ويُرّجع صوته به أحياناً كما رجّع يوم الفتح في قراءته : « إنّا فتحنا لكَ فتحاً مُبيناً » ، وكانت صفة ترجيعه « فيما حكى عبد الله بن مغفّل »

(١) انظر فتح الباري للحافظ ابن حجر ج ١٣ ص ٤٤١ - ٤٤٢ .

آ . . آ . . آ . . ثلاث مرات . وروى أيضاً في صحيحه باب الماهر بالقرآن ، عن البرَاء أنه قال : « سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقرأ : « والتّين والزيتون »[1] ، فما سمعت أحداً أحسن صوتاً أو قراءةً منه !! » عليه الصلاة والسلام . وروى ابن سعد في طبقاته عن جابر بن عبد الله أنه قال : كان في كلام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « ترتيلٌ وترسيلٌ » ، ولذلك كان عليه الصلاة والسلام يقول فيما رواه البخاري : « ليسَ منّا مَنْ لمْ يتغنَّ بالقرآن » أي : يترنم به . وروى أيضاً في الباب نفسه : أنه عليه الصلاة والسلام قال : « ما أَذِنَ اللهُ لشيء ما أَذِنَ لنبيّ حسنِ الترَنّمِ بالقرآن » ، ومعنى : « يأذن » أي : يستمع له ، يُقال : أذنتُ للشيء ، إذا استعمتُ له . وروى ابن سعد في الطبقات : عن قتادة أنه قال : « ما بعث الله نبياً قطُ إلاّ بعثه حسنَ الوجه حسنَ الصوت ، حتى بعثَ نبيّكم صلى

(١) أي : سورتها .

الله عليه وآله وسلم ، حسنَ الوجه حسنَ الصوت » .

٦ — لا يُؤكل بالقرآن :

روى الإمام أحمد في مُسنده بإسناد رجاله ثقات عن عبد الرحمن بن شبل أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : (اقْرؤوا القرآنَ ولا تغلُوا به ، ولا تجفُوا عنه ، ولا تأكلوا به ، ولا تستأثِرُوا به) . فهذا الحديث الشريف نصٌ صريح في حُرمة التأكل بالقرآن ، والترزّق به ، أي : مما نهى عنه عليه الصلاة والسلام في هذا الحديث « أن يجعل القارىء قراءَته سبيلاً لاكتساب المال كأجرة عليها » .

قال الإمام النووي في كتابه النافع : « التبيان في آداب حملة القرآن » ص٥٦ عن هؤلاء : « مُصيبةٌ ابتلي بها بعض الجهلة الطِّغام الغَشَمة الذين يقرؤون على الجنائز ، وفي بعض المحافل » ، ثم يقول : « إن هذه بدعة محرّمة ظاهرة ، يأثم

كل مستمع لها ، ويأثم كل قادر على إزالتها أَو النهي عنها إذا لم يفعل ذلك .. وقد بذلتُ فيها بعض قدرتي ، وأَرجو من الله الكريم أَن يوفّق لإزالتها من هو أهل لذلك ، وأَن يجعله في عافية ».

٧ — في رحاب الوعي القرآني :

قال الله تعالى : « كتّابٌ أَنزلناهُ إليكَ مُباركٌ ليَدَّبَّرُوا آياتِهِ . ولِيتَذكَّرَ أُولوُا الألبَاب » ، وقال سبحانه : « أَفلا يتدبَّرُن القرآنَ أَمْ على قَلوُبٍ أَقفالُها » ؟!..

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيما رواه الحاكم بإسناد صحيح . « إنَّ هذا القرآنَ مأدبةُ الله » فاقْبلوُا مَأْدُبتهُ ما استطعتم ، إنّ هذا القرآنَ حبلُ الله المتين ، والنورُ المبين ، والشفاء النافعُ ، عِصمةٌ لمنْ تمسّكَ به ، ونجاةٌ لمن اتّبعَه ، لايَزيغُ فيُستْعتب ، ولا يعوجُّ فيُقوّم ، ولا تنقضي عجائبُه ، ولا يخْلُقُ من كثرةِ

الردّ[1] ، اتلوه فإنّ الله يأجركم على تلاوته ، كل حرفٍ عشرَ حسنات ، أَمَا أَني لا أَقولُ : أَلْمٓ حرف ، ولكن : أَلفٌ حرفٌ ، ولامٌ حرفٌ ، وميمٌ حرفٌ ».

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فيما رواه ابن حبان في صحيحه : عن أَبي شريح أَنه قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فقال : « أَبشرُوا !؟ أَليس تشهدُونَ أَنْ لا إِلهَ إِلاّ الله وأَني رسولُ الله ؟ » ، قالوا : نعم ! قال : « فإِنَّ هذا القرآنَ طرفُهُ بيدِ الله ، وطرفُه بأيدِيكم ، فتمسكُوا به بإِنكم لنْ تضِلُوا ولنْ تهلِكُوا بعده أَبداً ».

وقال عليه الصلاة والسلام فيما رواه مسلم في صحيحه : « ما اجتمع قومٌ في بيتٍ منْ بيُوتِ الله يتلُونَ كتابَ الله ويتدارَسُونَهُ فيما بينهم ، إِلاّ نزلتْ عليهم السكينةُ وغشيتْهُمُ

---

(١) أي : لايبلى من كثرة التكرار .

الرحمةُ ، وحفتهمُ الملائكةُ ، وذكرَهمُ الله فيمنْ عندَهُ ، ومنْ بطّأ بهِ عملُهُ لم يُسْرعْ به نسبُه ».

وقال عليه الصلاة والسلام فيما رواه ابن ماجه بإسناد حسن : (يا أبا ذرّ لأنْ تغْدُوَ فتعلَّمَ آيةً منْ كتابِ الله خيرٌ منْ أنْ تُصلي مائةَ ركعة).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم فيما رواه ابن حبان في صحيحه . « عليكَ بتلاوةِ القرآن ، فإنَّهُ نورٌ لك في الأرض ، وذُخرٌ لك في السماء » . وبعد هذا البيان .. يتوجب علينا بحث مسألة ترجمة القرآن ، فنقول :

تقرير حرمة تسمية ترجمة معاني القرآن : قرآناً

لقد أنزل الله تبارك وتعالى القرآن الكريم باللغة العربية الفصحى على قلب سيد العرب والعالمين : محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم ، في زمن بلوغ الفصاحة والبلاغة ، وروعة البيان والأساليب : مبلغاً عظيماً ..

ليكون المعجزة العظمى على مرّ الدهور وطول العصور متحدياً الإنس والجن على أن يأتوا بمثله أو ببعض أمثال آياته ، لإثبات صدق نبوته عليه الصلاة والسلام ، وأنه لاينطق عن الهوى إن هـو إلا وحيٌ يُوحى . قال الله تبارك وتعالى في سورة الإسراء : ٨٨ (قل لئنِ اجتمعت الأنسُ والجنّ على أنْ يأتوا بمثلِ هذا القرآنِ لايأتونَ بمثله ولو كان بعضُهُمْ لبعضٍ ظهيراً).

فقد جاء القرآن الكريم بالنظم البديع المخالف لكل نظم معهود في لسان العرب !! والأسلوب المخالف لجميع أساليب الغة العربية !! والجزالة التي لاتأتي من مخلوق بحال !! والتي لايستطيع أحد كائناً من كان أن يحاكيها أو يرتقي إلى مستواها !!..

وقد امتاز القرآن الكريم بكونه « كلام الله تبارك وتعالى » على جميع مناهج الأساليب الشعرية والنثرية ، وإنما

كان على منهاج خاص فريدٍ في أسلوبه ! نادرٍ في محتواه ! عظيمٍ في تفصيلاته ! رائعٍ في نسقه ! دقيقٍ في مباحثه ! جليٍ في عباراته ! مشرقٍ في تعبيره ! لم يكن للعرب به عهد ، وليس لهم به سابق معرفة ، حتى إنهم لفرط تأثيرهم به كانوا يُقبلون على سماعه ، ويُوخذون بفصاحته وبلاغته، وتستولي على مشاعرهم ألفاظه وأساليبه ومعانيه !!..

ولهذا .. لايجوز إخراج القرآن عن لغته المعجزة إلى لغاتأخرى ، ثم يُسمى قرآناً ، أو « ترجمة قرآنية » . وذلك للاعتبارات التالية :

أولاً : إذا خرج القرآن عن لغته العربية تأكد وقوع التغير والتبديل والتحريف الذي يأمل به أعداء الإسلام .

ثانياً : لخصائصه البيانية العظيمة التي ضاهت أساليب بلغاء العرب وفصحائهم ، فلم يكن في مقدورهم أن يأتوا بمثلها ، أو بأقل مما يُشابهها ، فكيف يكون بمقدور غيرهم

ممن لا يرتقي إلى مراتبهم أن يأتي بما يشابهها في غير لغتها ؟!.

ثالثاً : فقدان جميع اللغات في العالم خصائص اللغة العربية، فكيف تتمكن كلها بأن تأتي بمثل خصائص القرآن المعجزة ؟!.

رابعاً : إعجاز القرآن الكريم بخصائصه البيانية وأساليبه التعبيرية ، والعجز عن تحقيقها في الترجمة يفقد القرآن إعجازه الذي يُثبت قرآنيته وصدق نبوة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

لهذا .. وأمثاله .. لاتجوز ترجمة القرآن ترجمةً مطابقة ، بل لا يمكن تحقيقها ، أما ترجمة معانية فهي شيء آخر ، وفيما يلي تفصيل ذلك :

جواز ترجمة معاني القرآن :

تجوز ترجمة معاني القرآن لمن لا يعرف اللغة العربية من

المسلمين وغيرهم لنشر الدعوة الإسلامية، فلا يمكن للدعوة أن تنتشر في العالم إلا إذا نقلنا معاني هداية الله سبحانه في القرآن إلى لغات من تُحمل إليهم الدعوة . وهذا الأمر لاشك في ضرورته وأهميته في تبليغ الإسلام للناس ..

فترجمة معاني القرآن في حقيقتها هي : نقل معنىً أو معان من معاني القرآن ، وذلك حسب إمكان وُجوهْ التفسير والتأويل . فليس في هذا الشكل تغيير للأصل ، أو نقله من وجه إلى وجه .. وعلى هذا .. يجوز الاطلاق على هذا النوع من الترجمة « اسم الترجمة التفسيرية .. » لا القرآن المترجم .

وذلك لأن اطلاق تسمية الترجمة التفسيرية لمعاني القرآن لاتصوّر للسامع، ولا تخيّل للقارىء أنه هو الأصل أو هو النقل الحرفي للأصل . كنقل الإنجيل عن العبرانية إلى السريانية والحبشية والرومية والعربية، وكنقل التوراة

عن العبرانية إلى هذه اللغات أيضاً ، لأن ترجمة القرآن حرفياً فوق طاقة البشر !!..

ترجمة القرآن الكريم فوق الطاقة البشرية :

لقد اختص القرآن الكريم بأسرار الإعجاز الغوي والتشريعي والمعنوي والبياني، بما لا يدع للبشر جميعاً سبيلاً للشك في كونه كلام الله تبارك وتعالى .

لأنه فوق الإعجاز التشريعي والمعنوي ، معجزٌ في أسلوبه وبيانه ولغويته ، ومتفوق على جميع الأساليب العربية من العموم والخصوص ، والاطلاق والتقييد ، والإجمال والتبيين، ودلالات الإشارة والعبارة ، والفحوى والايماء ، ومافيها من الخبر والإنشاء ، والنفي والإثبات ، والحقيقة والمجاز ، والاطناب والإيجاز ، والحذف والعطف ، والتنكير والتعريف ، والتقديم والتأخير ،

والاستعارة والإرداف ، والغلو والإفراط ، والتمثل والمطابقة ، والتجنيس والمقابلة ، والموازنة والمبالغة ، والمساواة والإشارة ، والتكميل والتقيم ، والترصيع والتقسيم ، والسلب والإيجاب ، والكناية والتعريض ، والعكس والتبديل، والاعتراض والالتفاف، والرجوع والإستطراد ، والتذييل والتكرار ، وأنواع الاستفهام والقَسم ، إلى غير ذلك مما يتعلق بالأساليب العربية ، فهو بهذه الخصائص التي اختص بها ، وفاق بها على جميع من نطق وكتب ، فإن ترجمته إلى غير لغته فوق طاقة البشر ، بل من المستحيلات في هذه الحياة !!..

وهو بخصائصه الإعجازية نجد أن كلّاً من العالم والجاهل والسطحي والباحث : يلتقون على فهم القرآن !!..

كأنّ كل آية فيه قد فُصلت على روعة إعجازها اللغوي والبياني ، قد فُصلت تفصيلاً بما يتناسب مع عقلية كل منهم

بحسب درجته في المعرفة والعلم ، والاستيعاب والفهم !.

فكيف تتحقق جميع هذه المزايا والخصائص في تراجم المترجمين ؟!.

وهذا .. فحْوى فتاوى علماء الإسلام بحرمة تسمية ترجمة معاني القرآني الكريم قرآناً ، وحرمة محاولة ترجمته حرفياً إلى غير اللغة العربية .

كما أنهم أفتوا بحرمة كتابته بغير الحروف العربية ، قال الله تعالى في سورة الزخرف : ١٣ (إنّا جعلناهُ قرآناً عربياً لعلكمْ تعقلوُن) ، وقال سبحانه في سورة يوسف : ٢ (إنّا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكمْ تعقلوُن) ، فهو عربي بمعناه ومبناه ، وبلفظه ورسمه !!..

الخاتمة

ثبوت النص القرآني الكريم بالتواتر المفيد للقطع واليقين

لم يعرف التاريخ في مدى عمره الطويل كتاباً أحيط بأسوار من العناية والرعاية مثل ما عُرف ذلك للقرآن الكريم، ولا كتاباً ثبت في جملته وتفصيله بالتواتر المفيد للقطع واليقين مثل ما عُرف ذلك للقرآن الكريم، ولا كتاباً أوجب الله تعالى حفظه على الأمة كلها غيرَ القرآن الكريم، ولا كتاباً تكفل الله عزّ وجلّ بحفظه من التحريف والتبديل والتزييف غيرَ القرآن الكريم!.

ولقد علمنا مما تقدم من أبحاث لمراحل التوثيق للنص القرآني الكريم كيف تمت طرق رعايته وسبل عنايته.

فسار جميع المسلمين منذ عهد النبوّة إلى يومنا هذا على ذلك المنهج في الرعاية والعناية . وكانت طريقة تلقيهم للقرآن على حالة تمنع تداخل الخطأ أو التصحيف في حمله وأدائه وهي : الحفظ في الصدور والتدوين في السطور .

ولهذا .. فإن القرآن الكريم قطعي الثبوت ، لتواتر نقله حفظاً وكتابة جيلاً بعد جيل ، فقد تمّ نقله بالكتابة والمشافهة في كل عصر على طول وعرض الأمة الإسلامية ، من غير أن تختلف الأمة في شيء من كلماته على اختلاف أجناسها ، وتباعد ديارها ..

حفظ القرآن عن ظهر قلب خصيصة للقرآن :

ومن خصائص هذا الكتاب السماوي الكريم أن الله عزّ وجل خصّ من اصطفاه من هذه الأمة لحفظه كله عن ظهر قلب ، بحيث يحفظه عددٌ كثيرٌ من المسلمين يثبت بهم التواتر المفيد للقطع واليقين على هذا الوضع الذي نُقل

إلينا .. وبهذا التوثيق الذي ثبت لدينا .. في كل زمان في هذه الحياة ، وفي كل مكان من هذا الوجود، بحيث لايخلو زمان أبداً حتى يرث الله الأرض ومن عليها من وجود جمع كثير من الذين يحفظون كتاب الله تعالى عن ظهر قلب يتحقق بهم اتصال السند منهم إلى المنزّل على قلبه الطاهر صلى الله عليه وآله وسلم بالتواتر الذي يقطع باليقين الجازم « بأن هذا القرآن من عند الله تعالى » ....

ولم يجعل الله سبحانه حفظه وتخليده في الصدور والسطور فحسب، بل جعله محفوظاً وخالداً بالتعبد بتلاوته في الصلاة، وانشغال العلماء بتفسيره وتأويله، والاستنباط منه ، ومدارسته وتدريسه ، حتى كان مشار أكبر حركة فكرية وعلمية ، واجتماعية وثقافية، عرفتها البشر من لدن آدم عليه السلام إلى وقتنا هذا .. بل إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ....

« والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين »

المراجع العامة للأبحاث

١ ـ القرآن الكريم ، وتفسير الطبري ، والبغوي ، والقرطبي ، وابن كثير .

٢ ـ السنة النبوية : صحيح البخاري بشرح الحافظ ابن حجر ، وصحيح مسلم ، والسنن الأربعة ، ومجمع الزوائد للحافظ الهيثمي .

٣ ـ علوم القرآن : البرهان في علوم القرآن : للزركشي ، والإتقان : للسيوطي ، ومناهل العرفان في علوم القرآن : للزرقاني ، ومنهج القرآن في علوم القرآن : للشيخ محمد علي سلامة ، والمرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز : لأبي شامة ، ومقدمة في أصول التفسير : لابن تيمية ، وأصول التفسير لكتاب الله المنير : للمؤلف .

٤ ـ إعجاز القرآن : معترك الأقران في إعجاز القرآن : للسيوطي ، وتناسق الدرر في تناسب السور : للسيوطي ايضاً ، وأسرار التكرار في القرآن : للكرماني .

٥ ـ علم التجويد والترتيل : الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة : لابن أبي طالب القيسي ، والبرهان في تجويد القرآن : للقمحاوي ، والتجويد والأصوات : لابراهيم محمد نجا « مقرر في السنة الرابعة لكلية اللغة العربية في جامعة الأزهر » .

٦ ـ اللغة العربية : لسان العرب : لابن منظور ، وشرح حروف المعاني : للمالقي ، وعلم الحروف : للهروي ، ومعجم النحو: للدقر ، وأزاهير الفصحى في دقائق اللغة : لأبي السعود ، والمصباح المنير : للفيومي ، ومختار الصحاح : للرازي .

٧ ـ رسم المصحف : المقنع : للحافظ ابي عمرو الداني ، وكتاب النقط : له ايضاً ، ولطائف البيان في رسم القرآن شرح مورد الظمآن : مقرر معهد القراءات في الأزهر ، وإيقاظ الأعلام في اتباع رسم المصحف الإمام : للشنقيطي .

٨ ـ القراءات : النشر في القراءات العشر : للحافظ ابن الجزري والحجة في القراءات السبع : للإمام ابن خالويه ، والكشف عن وجوه القراءات السبع : للإمام ابن ابي طالب القيسي ، والإبانة عن معاني القراءات : له ايضاً .

٩ ـ التاريخ الإسلامي : تاريخ الطبري ، والبداية والنهاية : للحافظ ابن كثير ، والكامل في التاريخ : للإمام ابن الأثير ، وتاريخ ابن خلدون ، ومروج الذهب : للمسعودي ، ومرآة الجنان : لليافعي وصبح الأعشى : للقلقشندي ، والسيرة النبوية : لابن هشام ، وخاتم النبيين صلى الله عليه وسلم « السيرة النبوية » لأبي زهرة .

١٠ ـ أبحاث عامة : المدخل لدراسة القرآن الكريم : للدكتور محمد محمد ابو شهبة ، الظاهرة القرآنية لمالك بن نبي ، كبرى اليقينيات الكونية : للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي ، التبيان في آداب حملة القرآن : للإمام النووي .

الفهرس

التفصيلي لموضوعات الكتاب

تفصيل مراحل توثيق نص القرآن الكريم

المرحلة الأولى لتوثيق النص القرآني الكريم ، استيداع النص الكريم في الصدور والسطور .

جمع القرآن الكريم وكتابته في عهد نزوله ٤٣ ، ليس في الوجود كتاب سماوي وصل إلى ذروة التوثيق العليا كالقرآن الكريم !! ٤٣ ، رعاية الله تعالى لكلامه العظيم ٤٤ ، لقد مرّ توثيق النص القرآني بخمس مراحل ٤٥ ، ثلاثة ادوار متتاليات في عهد النبوة . الدور الأول ، اتخاذ الكتاب المتخصصين بالكتابة العربية لكتابة القرآن ٤٥ ـ ٤٦ ، كتّاب الوحي المكي والمدني هم خيرة المؤمنين ٤٦ ـ ٤٧ ، كيفية الكتابة بين يدي النبي عليه الصلاة والسلام ٤٧ ٤٨ ، الدور الثاني ، استحفاظ النبي عليه الصلاة والسلام اصحابه للقرآن ٤٨ ـ ٤٩ ، تفحص النبي عليه الصلاة والسلام لحفظ اصحابه ٥٠ ، حثه عليه الصلاة والسلام لأصحابه على حفظ القرآن وتعاهده ٥٠ ـ ٥٢ ، الدور الثالث ، منعه عليه الصلاة والسلام اصحابه عن كتابة الحديث مع القرآن ٥٢ ـ ٥٤ ، إجازته عليه الصلاة والسلام لبعض الصحابة بالكتابة للأحاديث ٥٤ ـ ٥٦ ، سبب نهيه عليه الصلاة والسلام عن كتابة غير القرآن ٥٦ ، إباحته عليه الصلاة والسلام لكتابة الحديث بعد ما تمكن الصحابة من حفظ القرآن والحفاظ عليه ٥٨ ، آخر المرحلة الأولى . توثيق النص الكريم باستعراضه مرتين بين النبي عليه الصلاة والسلام وبين امين الوحي جبريل عليه السلام ٥٨ .

المرحلة الثانية لتوثيق النص القرآني الكريم

جمع القرآن وكتابته في عهد الخليفة الصديق رضي الله عنه

سبب تحرك مسيلمة الكذاب بعد ادعائه النبوة ٦١ ، قتال مسيلمة ادى إلى استشهاد سبعين من القراء ٦٢ ، سبب هول عمر بن الخطاب من استشهادهم ٦٢ ، تداول الراي حول جمع القرآن في المصحف وإيداعه بيت الخليفة الصديق ، ٦٢ ـ ٦٤ ، كيف تم الجمع الأول للقرآن ؟ ٦٥ ، امتياز هذا الجمع بالميزات التالية : كل من تلقى من رسول الله عليه الصلاة والسلام شيئاً من القرآن اتى به إلى زيد ٦٥ ـ ٦٦ ، كل من كتب شيئاً من القرآن في حضرته عليه الصلاة والسلام اتى به إلى زيد ٦٦ ، كان زيد لايأخذ القرآن إلا من اصل كتب بين يدي النبي عليه الصلاة والسلام ٦٦ ، كان الجمع بعد المقارنة بين المحفوظ بالصدور والمرسوم في السطور ٦٦ ، كان زيد لايقبل شيئاً من احد حتى يشهد معه شاهدان ٦٦ ، كان جمعه على حسب العرضة الأخيرة ٦٦ ، وكان يشارك في تلك المهمة العظيمة « عملاق الاسلام عمر » ٦٧ ، مصاحف الصحابة ٦٨ ، مصحف زيد بن ثابت كان على آخر عرضة للقرآن مع النبي ﷺ ٦٨ .

المرحلة الثالثة لتوثيق النص القرآني الكريم

الجمع الثاني واستنساخ مصاحف الأمصار في عهد أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه

سبب الاختلاف في القراءة على عهد عثمان ٧١ ـ ٧٤ ، فزع امين سر الوحي حذيفة بن اليمان من ذلك الاختلاف وهرعه إلى أمير المؤمنين عثمان يخاطبه في ذلك ٧٤ ـ ٧٥ ، وقوع مثل ذلك في المدينة

مباحث متفرعة عن هذه المرحلة

بلغ عدد الذين ساعدوا في جمع القرآن على عهد عثمان « اثني عشر الفاًمن الصحابة والتابعين » ١٠٤ ، سبب اختلاف القراء في القراءات ١٠٥ ، سبب اشتهار القراءات بأسماء رواتها ١٠٦ – ١٠٨ ، تدوين القراءات المتواترة ١٠٨ – ١٠٩ .

المرحلة الرابعة لتوثيق النص القرآني الكريم
ضبط الحركات للآيات وتنقيط المصاحف العثمانية

معنى الاعجام ، ونقط الحركات الإعرابية ١١٣ – ١١٤ ، لماذا احدث المسلمون من التابعين هذين النوعين من النقط ؟ ١١٤ – ١١٥ انواع النقط ١١٥ ، سبب إحداثه ١١٥ – ١١٦ ، العرب لم تعرف النقط والشكل في كتابتها ١١٦ ، ضرورة النقط والشكل ١١٧ ، اول من وضع النقط للقرآن ١١٧ – ١١٨ ، ابتكار اهل العلم في اللغة والقراءات في عملية الشكل ١١٨ .

المرحلة الباقية لتوثيق النص القرآني الكريم
تكفل الله تعالى بحفظه وتخليده حتى قيام الساعة

بيان تكفل الله تعالى بحفظ ما انزل من كلامه الحق ١١٩ ، لم يعهدالله سبحانه بحفظ القرآن الى الأمة او الى علمائها فقط كما كان الحال في الأمم السابقة ١١٩ – ١٢٠ ، لم تحتج هذه الأمة الى نبي بعد نبيها عليه الصلاة والسلام ليحفظ عليها كتابها كما كان الحال من قبل ١٢١ ١٢٢ .

حفظة كتاب الله في الاسلام هم جنود الله

لما تكفل الله تعالى بحفظ القرآن اختار من هذه الأمة جنوداً امناء لهذه المهمة ١٢٢ – ١٢٣ ، حفظة كتاب الله تعالى هم ورثة كلامه وحراس دينه ، وهم اهله وخاصته ١٢٣ .